تقبَّل من تكون

جويس ماير
Joice Meyer

تقبَّل من تكون

بقلم

جويس ماير

تقبَّل من تكون

المـــــــؤلـــــف : **چويس ماير**
النـــــــاشـــــر : P.T.W للترجمة والنشر
المـــترجـــــم : **د. عادل كمال**
المــطــبــعـــة : **دار إلياس للطباعة ت: ٢٩٨١٧٣٥**

المراجعة والجمع التصويري و الإعداد الفني والتوزيع
P.T.W للترجمة و النشر
ت: ٦٦٧٨٩٨٠ – ٦٦٧٨٩٨١

رقـــم الإيــــداع : ٢١٦٠٠ / ٢٠٠٦
الترقيـم الـدولي : **977-6124-87-9**
الطبعـة الأولـى : Copies 30,000

جميع حقوق الطبع في اللغة العربية محفوظة للناشر وحده،
ولا يجوز استخدام أو إقتباس أى جزء أو رسومات توضيحية من الواردة
في هذا الكتاب بأي شكل من الأشكال بدون إذن مسبق منه.

English title:
Accepting Who You Are
copyright © 2005 By Joyce Meyer
ISBN: 0-446-69746-X
Arabic edition © 2007 by PTW

المقدمة

هناك وباء يجتاح مجتمعاتنا اليوم اسمه عدم الأمان. فالكثيرون لا يشعرون بالأمان وغير راضين عن أنفسهم، مما يسلبهم الفرحة ويسبب لهم مشاكل كبرى في كل علاقاتهم.

فالذين عانوا آلاماً قاسية من جرَّاء الرفض الشديد أو الإيذاء كما حدث معي كثيراً ما يبحثون عن إعجاب الآخرين واستحسانهم في محاولة للتغلب على الشعور بالرفض وصغر النفس؛ إذ تدفعهم معاناتهم من هذه المشاعر لاستخدام إدمان الإعجاب للتخلص من ألمهم. والإدمان هو كل ما يسيطر على الناس – ويشعرون بالعجز في عدم وجوده؛ أو هو أمر يفعلونه للتخلص من الألم أو الضغوط وهو ما يلجأ إليه الناس عند شعورهم بالوحدة أو الأذى. وللإدمان صور كثيرة مثل المخدرات والكحوليات والقمار والجنس والتسوق والأكل والعمل وحتى الإعجاب نعم الإعجاب. ويبحث الشخص المفتقد للأمان – مثل المدمن عمَّا "يُثَبِّت" وضعه عندما يتعرض للاهتزاز. فيحتاج لمن يؤكد له ويطمئنه أن كل شيء على ما يرام وأنه مقبول.

والمدمن على شيء ينشغل به طول الوقت وبالتالي فإذا أدمن أحدهم الإعجاب فسيظهر اهتماماً غير طبيعي ويجتاحه سيل من الأفكار عما يظنه الآخرون به. لكن الخبر السار أنه ما عاد لأحد أن يعاني من عدم الأمان، فهناك شفاء من إدمان الإعجاب. تقول كلمة الله أننا يمكن أن نحظى بالأمان من خلال يسوع المسيح (انظر أفسس ٣: ١٧). ويعني ذلك أننا أحرار لنكون أنفسنا ونصبح كل ما نستطيع أن نكونه في شخصه العظيم.

(١) مواجهة الخوف والاهتداء إلى الحرية

إن أول خطوة نحو فهم الاحتياج غير المتوازن للإعجاب هو فهم معنى الخوف. والناس يتعاملون مع أنواع لانهائية من الخوف، غير أن نوعاً مهماً اكتشفته في حياتي الشخصية وقد يكون لديك أيضاً، هو الخوف من عدم إرضاء الله. إذا تعرضت للتجريح والإيذاء من أناس كان من الصعب أو من المستحيل إرضاؤهم، فقد تظن أن نفس الأمر يحدث مع الله. وهو ليس كذلك! فليس من الصعوبة إرضاء الله كما قد نظن. وبكل بساطة، فإن ما يرضي الله هو إيمان الأطفال. فهو يعرف مقدَّماً أننا لن نتصرف بالكمال طوال الوقت. ولذلك أرسل يسوع ليدفع ثمن أخطائنا وفشلنا.

وكما ذكرت في المقدمة، كم صارعت وعانيت من الإحباط سنين طويلة محاولةً إرضاء الله بالسلوك الطيب أو حتى الكامل.

وفي نفس الوقت كنت أرتاع خوفاً من الفشل في ذلك. وبدا أنه مهما فعلت من صلاح، أرى دائماً الخطأ يشوب

محاولتي. لم أشعر أبداً بأني على ما يرام، مهما عملت، بل كنت أشعر دائماً باحتياجي لعمل المزيد. كنت أرى الله غير راضٍ عني، وحتى لو لم يكن ذلك دقيقاً، إلا أن ذلك كان حقيقة بالنسبة لي لأني كنت أصدِّقه. كم كنت مخدوعة!.

وهناك احتمال أن تكون أنت أيضاً مخدوعاً. والخدعة هي أن تصدق أكذوبة. لقد وقع الكثيرون رهن القيود التي أردتهم بؤساء لأنهم ببساطة تبنوا اعتقادات خاطئة. ومن الممكن جداً أن تكون معتقداً بكل قلبك في بعض الأمور، مع أنها قد تكون غير صحيحة على الإطلاق. اعتقدت مرة أن مستقبلي سيتأثر دائماً بماضيَّ، لكني تعلمت فيما بعد من خلال كلمة الله أن ما اعتقدته لم يكن حقيقياً البتة.

بمقدورنا أن ندع الماضي وراءنا، وأن نستمتع بغفران تام لكل أخطائنا، ونتمتع بالمستقبل العظيم الذي أعده الله لنا من قبل بدء الزمان.

"ماالذي يجب أن أعمله لأرضي الله؟"

في اعتقادي يجب عمل أمرين لنرضي الله. أولاً الإيمان بيسوع، وثانياً الرغبة في إرضائه بكل قلبنا. ومن

الضروري إدراك أننا لا نستطيع إتيان أمر من دون الآخر. يقول الكتاب أنه بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه (انظر عبرانيين ١١: ٦).

ونقرأ في (يوحنا ٦: ٢٨،٢٩) عن أناس جاءوا يسألون يسوع: ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله؟ (**ما الذي نفعله لنعمل ما يطلبه الله؟**) **وأجاب يسوع:** هذا هو العمل (**الخدمة**) الذي يطلبه الله؛ أن تؤمنوا بالذي هو أرسله.

وهكذا ترى أن الله يُسَر عندما نؤمن بابنه يسوع، ولا يسر بعدم إيماننا به. قد نعمل أعمالاً عديدة طيبة وخيِّرة، ومع ذلك فإن لم يكن لنا إيمان بيسوع، يظل الله غير راضٍ عنا. لكن إذا آمنا ووثقنا بالله، سندخل إلى راحته حسب ما جاء في عبرانيين ٤، ونشعر بالارتياح والهدوء بدلاً من الخوف والقلق من الحياة.

فنحن نؤمن والله يعمل. وعملنا ـ عمل المؤمن ـ ببساطة هو الإيمان. تذكَّر أننا مقبولون بسبب **إيماننا**، وليس بسبب أعمالنا الصالحة. والمسيحيون يُعرفون بأنهم مؤمنون. فلو كان العمل المنوط بنا هو الإنجاز لَدُعينا "المنِجزون" وليس

"المؤمنون". وكثيراً ما نود التركيز على ما نعمله، لكن تركيزنا يجب أن يكون على ما عمله الله من أجلنا في المسيح. وبإمكاننا أن نركز على خطيتنا – فنتذوق طعم الشقاء، أو نركز على غفران الله ورحمته فنعيش الفرح.

بمجرد أن نرى هذه الحقيقة، سنستمتع بعلاقتنا بالله. فليس علينا أن نعيش تحت ضغط القبول عن طريق الأداء، وما يتبعه من خوف الفشل في كل مرة يكون أداؤنا فيها أقل من مستوى الكمال. ولن نقع فريسة لإدمان الإعجاب؛ وعلى استعداد لنواله بأي وسيلة. إذا كنا نريد أن نرضي الله بكل قلوبنا، فكل ما نحتاجه هو أن نؤمن بابنه يسوع المسيح وبما يقوله في الكلمة المقدسة.

وقد عشت في فخ "القبول بالأداء" سنين طويلة، وأدمنت الإعجاب. كنت أشعر أنني لو أتيت تصرفاً جيداً سأنال استحسان وقبول الله والناس. وعندما لم أكن أتصرف على نحو جيد، كنت أفترض أوتوماتيكياً أن الله رفضني؛ لأن ذلك هو ما تعودته من الناس. وهكذا كان الحق مشوشاً أمامي من خلال اعتقاد خاطئ.

إن الله لا يرفضنا عندما نقترف الأخطاء، لكن إذا جال بخاطرنا أنه يرفضنا، أو خفنا من رفضه لنا، حينئذٍ تتحول الكذبة التي اعتقدناها إلى حقيقة بالنسبة لنا. كان لديَّ موظفة عانت كثيراً من الرفض من جانب والدها عندما لم يكن أداؤها جيداً في المدرسة أو في أي مجال آخر. وقد تسبب هذا الرفض في وقت مبكر من حياتها في تبنيها لأنماط سلوكية يصعب تفهمها.

فعندما كان يشوب مستوى أدائها الوظيفي أي تقصير، كنت أشعر بانسحابها عني ورفضها لي. ولم تكن تنسحب فقط بل تدخل في نوبة عمل مسعور في محاولة لإنجاز عمل أكثر.

وقد ضايقني هذا السلوك حقيقةً وجعل من الصعب عليَّ إقامة علاقة مريحة معها. وكنت أتخوف ـ بصفتي مديرتها من إبداء أي توجيه لها أو تصحيح أي شئ لأني كنت أعرف بالخبرة ما هو رد فعلها.

في الواقع كنت أتخوف من سؤالها عن سير المشروعات المختلفة؛ لأنها إذا لم تعطني تقريراً ممتازاً كانت تصاب بإحباط حتى لو بقيت أنا هادئة تماماً. وكان الوقت الوحيد

الذي تبدي فيه استقراراً وسعادة هو عندما أسألها عن حال العمل فتجيبني أن كل شيء على ما يرام وتم عمله على نحو رائع.

لم أكن أفهم تصرفاتها في البداية، لكن عن طريق الصلاة والتشارك بصراحة اكتشفنا أخيراً خوفها الرهيب من الرفض إذا لم تحسن أداء عملها على النحو الكامل. وحتى لو لم أرفضها، كان خوفها من الرفض يجعلها تنسحب وتبتعد عني. وحتى يزيد الطين بلة كنت أشعر أن ابتعادها هو رفض لي من جانبها، أو أني قد تصرفت تصرفاً خاطئاً. لقد كان اعتقادها خاطئاً، لكنه خلق على الأقل جواً غير مريح يتدخل فيه الشيطان ليعمل عمله.

لم أكن أنتظر منها الكمال، لكنها توقعته من نفسها. لم أكن أضغط عليها لكنها ضغطت على نفسها. وحتى لو لم أكن متضايقة من مستواها كانت تفترض فيَّ ذلك وتتخذ رد فعلها نحوي تبعاً لذلك. وقد أربكني سلوكها بالفعل وجعلني لا أحب العمل معها. لكنها تعلمت أخيراً أن تثق أني أحبها وأتقبلها حتى لو لم يكن أداؤها ممتازاً دائماً. وقد

أتاح لنا ذلك أن نعمل معاً بفرح لسنوات طويلة فيما بعد.

وكما تعلمت أنا من قبل في حياتي، كان على موظفتي أن تتعلم أن تؤمن وتصدِّق ما قلته بدلاً مما تشعر به. يجب أن نعمل نفس الشيء في علاقتنا بالله. يجب أن نتعلم الثقة بكلمة الله أكثر من مشاعرنا الشخصية. كثيراً ما نذعن لمشاعرنا دون أن ندرك كم هي قابلة للتغير والتشكل. ليست مشاعرنا مصدراً يعتمد عليه للمعلومات. إن الله يحبنا ويقبلنا بدون شروط، وحبه ليس مبنياً على أدائنا. يقول الكتاب في (أفسس ١: ٦) أننا مقبولون في "المحبوب". وكما قلت من قبل إن إيماننا في يسوع هو الذي يجعلنا مقبولين أمام الله ويرضيه وليس أداؤنا.

لسنا نعيش بالإيمان إن صدقنا ما نشعر به أكثر من تصديقنا لما تقوله كلمة الله. هل تؤمن بإله الكتاب أم بإله آخر في مشاعرك؟

الرغبة في إرضائه في كل الأمور

كل من يحب الله يريد إرضاءه. إن حقيقة أن لنا رغبة في إرضائه ترضيه في حد ذاتها. إرضاء شخص معناه أن

تكون فكرته عنك جيدة وتنال استحسانه. ونحن نبتغي إعجاب الله وليس في ذلك أي عيب. والواقع أن الرغبة في إرضاء الله شيء ضروري؛ فهي تدفعنا لطلب إرادته في كل أمر. والذين يتحلُّون برغبة عميقة في إرضاء الله قد لا يتصرفون على نحو ممتاز كل الوقت، لكنهم يستحثون الخطى للأمام ولديهم دائماً إرادة التجويد والتحسن.

في (أخبار الأيام الثاني١٦: ٩) يدقق الله في البحث عن شخص يستطيع أن يبين قوته من خلاله، شخص كامل القلب أمامه. ولا يقول الكتاب أنه يبحث عن شخص ذي أداء كامل، لكن عن صاحب قلب كامل ـ قلب يريد إرضاءه، قلب يحزن على الخطية والشر، قلب يؤمن به وباستعداده الدائم للغفران والتجديد.

والله يعلم جيداً أننا لا نستطيع إتيان الكمال. فلو كنا كاملين لما احتجنا إلى مخلص، ولكان يسوع قد جاء سدى. لكن يسوع جاء من أجل المساكين بالروح، والجسد، والنفس، وليس لمن لا يحتاجون (انظر لوقا ٥: ٣١ـ٣٢).

كم هو مقبول أن يظهر المرء احتياجه! وكما يقولون: الرب

رب قلوب؛ فهو يرى ويهتم بموقفنا القلبي أكثر حتى من أدائنا وتصرفنا. لقد قلت مراراً إني أؤمن أن الله يفضل القلب الطيب بإنجاز أقل من الممتاز عن الإنجاز الممتاز لكن مع قلب غير نقي.

مثلاً، وجَّه يسوع كلاماً كثيراً إلى الفريسيين. فقد كانت تصرفاتهم كاملة؛ يحفظون الوصايا، ويتبعون القواعد والنظم، وكانوا يفخرون بذلك. وكانوا يدينون الآخرين، ولم يعيشوا المحبة ولم يظهروا أي رحمة. لذلك دعاهم يسوع بالقبور المبيضة من الخارج لكنها مليئة بالداخل عفناً.

" ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تشبهون قبوراً مُبيَّضةً تظهر من خارج جميلة وهي من داخل مملوءة عظامَ أمواتٍ وكلَّ نجاسة" (متى ٢٣: ٢٧).

كان هؤلاء الفريسيون متدينين جداً – حفظوا الوصايا – لكن قلوبهم لم تكن مستقيمة.

والحق يرضي الله. فحسب (يوحنا ٤: ٢٣-٢٤) يطلب الله عابدين يعبدونه بالروح وفي الحق (حقيقةً). وهو يكره الرياء ! لذلك قلت قبلاً إن أكثر شيئين أهمية لله هما الإيمان

بيسوع وقلب نقي يبتغي إرضاء الله في كل شيء.

جاءني أحدهم مرة قائلاً: "لست سيئاً، لكنني أحمق". وقد صدق في وصفه لنفسه. فهو من النوع الذي يُحَبُّ، ويريد عمل الخير، إلا أنه يتخذ قرارات خاطئة بصفة مستمرة تسبب له المتاعب ـ من الصعب أن تظل غاضباً منه لأنه لا يقصد حقيقةً أن يسبب أي مشاكل مع أنه يوجدها بجدارة.

أنا واثقة أنكم قابلتم أناساً من عيِّنة هذا الشخص ـ أناساً يصيبون بالإحباط، ومع ذلك تحبهم بحق. أعتقد أن الله يرانا أحياناً بهذه الصورة. نفعل أشياء تسبب لنا المتاعب في حياتنا ثم نهرع إلى الله لنجدتنا. والأمر المفرح أنه يساعدنا بالفعل مرة أخرى ومرات لأنه يعلم جبلتنا وأننا لسنا إلا ترابًا (انظر مزمور ١٠٣: ١٤).

نحن ننظر ـ كبشر ـ إلى أداء الآخرين، أما الله فينظر إلى القلب. "فقال الرب لصموئيل لا تنظر إلى منظره وطول قامته لأني قد رفضته لأنه ليس كما ينظر الإنسان. لأن الإنسان ينظر إلى العينين وأما الرب فإنه ينظر إلى القلب" (صموئيل الأول ١٦: ٧).

"ما ارتعبت منه.... أتاني"

"لأني ارتعاباً ارتعبت فأتاني والذي فزعت منه جاء عليّ" (أيوب ٣: ٢٥). قلت قبلاً أن الخوف شعور فظيع ـ مغذٍ لنفسه. عانى أيوب من مخاوف تتعلق بأبنائه ووصل أخيراً إلى نقطة في حياته رأى فيها مخاوفه تتحقق. يقول الكتاب إنه بحسب إيمانك يكون لك (انظر متى ٩: ٢٩). ويعمل هذا المبدأ سلباً وإيجاباً. فننال بالخوف كما بالإيمان.

استأجرنا أنا وزوجي ذات مرة عاملاً لأداء بعض الأعمال بالبيت. ظل هذا الرجل يردد مقولة أنه "خائف" من غلق إنذار الأمان سهواً. راجعنا معه التعليمات مراراً لكننا لاحظنا أنه لا يزال فاقداً للثقة بنفسه. وفي اليوم الأول أدى بعض الأعمال، ثم شَغَّل الإنذار ومضى وبدا كل شئ على ما يرام. لكن هبت بعض الزوابع في ذلك المساء وتسبب شيء ما في غلق الإنذار نحو الثالثة صباحاً.

واتصلت الشرطة وقالت إن باباً من الأبواب لم يكن مغلقاً بالكامل وأنهم قد أمنوه. فاستدعينا الرجل وطلبنا منه الذهاب للتأكد. وفعل به نبأ تعطل الإنذار ما فعل وارتبك

جدًّا، وقال: "كنت خائفاً من حدوث ذلك".

الخوف بكل بساطة هو إيمان بما يقوله الشيطان. فلنتذكر أن ليس الله فقط الذي يتحدث إلينا بل الشيطان أيضاً، وهو كاذب (انظر يوحنا ٨: ٤٤). وعندما نصدق أكاذيبه ننخدع ونفتح له الباب ليعبث بحياتنا. عندما نضع إيماننا في كلمة الله نفتح له الباب ليعمل في حياتنا؛ وكذلك ندعو الشيطان ليعمل في حياتنا، عندما نصدق كلامه. إنه يضع أفكاراً غير حقيقية في عقولنا، لكنها قد تصبح حقيقة في حياتنا إن صدقناها. إذا كنا خائفين من عدم إرضاء الله أو الناس، سنتخذ سلوكاً يجعلنا بالفعل لا نرضي أحداً.

وينطبق نفس المبدأ على موضوع الرفض. فإذا خفنا من أن نكون مرفوضين، سنتصرف بطريقة تجعل الناس يرفضوننا. فنحن ننتج ما نؤمن به.

يحدث أحياناً أن أتقابل مع أناس تتملكهم العصبية في وجودي أو يخافون مني لأنهم ينظرون إليَّ باعتباري شخصية معروفة قوية ذات سلطة. وأنا لا أفعل أبداً ما يخيفهم؛ إلا أنهم يعانون من مشكلة بسبب أمر ما في

ماضيهم خَلَّفَ لديهم شعوراً بعدم الأمان والخوف في وجود أي سلطة. وهذا الأمر يضايقني جداً. إنه نفس ما حدث مع موظفتي التي توترت علاقة العمل بيننا بسبب أمور قديمة في حياتها. لذلك لا أشعر بالراحة مع هؤلاء الناس ولا أحبذ التواجد معهم. إن خوفهم مني يؤدي إلى حدوث ما يخشونه.

أنا أعرف تماماً عما أتحدث لأني تعاملت مع نفس الموضوع من الجانب الآخر. نشأت في بيت غير صحي مليء بالعنف والإيذاء والخوف. وبسبب إساءة معاملتي نما لديَّ الشعور بأني غير مقبولة ومليئة بالخلل. كنت أخجل من نفسي. كنت أخشى التعرف بأناس جدد بسبب إحساسي بأنهم قد لا يحبونني، وبالتأكيد حدث ذلك من معظمهم. فالذين توطدت صداقتي بهم صارحوني فيما بعد أنهم لم يحبوني في أول مقابلاتنا. لقد حصلت على ما كنت أعتقد فيه!.

الله يحبنا

يمكننا تجديد عقولنا كأولاد لله من خلال دراسة كلمته والشروع في التفكير بطريقة مختلفة (انظر رومية ١٢: ٢). وبينما نفكر بأسلوب مختلف سنتصرف بطريقة مختلفة

لأنه حيثما يذهب الفكر فهناك المرء يتبعه (انظر أمثال ٢٣: ٧). عندما وجدت في كلمة الله أنه حقاً يفرح بي ويقبلني برغم سلوكي غير الكامل، تغير تفكيري تماماً. فبدأت أتوقع أن يحبني الناس؛ وقد حدث ذلك بالتأكيد. بل بدأت أعترف علانية أن الله أعطاني نعمة أن يحبني الناس. تعلمت أن أقول ما قاله الله عني بدلاً مما يريدني عدو الخير أن أصدقه.

اسأل نفسك ما الذي كنت تتوقعه من الحياة، وقد تكتشف حينئذ تفسيراً لخيبة أملك في بعض الأمور. يريدنا الله أن نتجرأ في توقع الأمور الطيبة لا السيئة. يريدنا أن نتوقع القبول كعطية منه لنا. سيهبنا الله نعمةً وقبولاً إذا توقعنا ذلك.

إن العيش في نعمة الله الفائقة للطبيعة أفضل بالتأكيد من محاولة الحصول على القبول من خلال إرضاء الناس بالأداء المتكامل.

نقرأ في متي ٣: ١٣-١٧ فقرة عن معمودية يسوع. عندما خرج من الماء، نزل الروح القدس من السماء على هيئة

حمامة فوقه، وقال صوت من السماء "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت". ثم في (متى ١٧: ٥) على جبل التجلي، ظللت السحابة يسوع والتلاميذ، وجاء صوت من السحابة قائلاً: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت" (وأُسرُّ دائماً). بينما كنت أدرس ذات يوم، أدركت أنه إذا كان يسوع قد احتاج إلى سماع ونوال هذا التشجيع مرتين، فكم بالحري نحتاج نحن لسماع أننا نرضي الله؟ والأهم، ماذا لو رفض يسوع كلمات أبيه؟ كيف كان سيؤثر ذلك في حياته وإرساليته؟

يحاول الله أن يقول لنا في كلمته كم هو يحبنا، ويقبلنا، وأنه حتى مع معرفته بكل خطأ يمكن أن نقترفه، فإنه اختارنا لنفسه:

"كما اختارنا (التقطنا لنكون له) فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين (مخصصين ومفرزين) وبلا لوم قدامه في المحبة" (أفسس ١: ٤). نقرأ الكلمات لكننا نجد صعوبة في تقبلها. إننا نَدع مشاعرنا تسلب بركة قبول الله لنا ورضاه. ونترك أفكار الناس تحدد قيمتنا بدلاً من الاعتماد على كلمة الله.

إني أشجعك أن تقول بصوتٍ عالٍ عدة مرات في اليوم: "الله يحبني حبًّا غير مشروط، وهو مسرور بي" والعقل يرفض هذه العبارات؛ فبعد كل شيء كيف يمكن لله الكامل أن يرضى بنا في كل نقائصنا؟ النقطة الفارقة هي أن الله يفصل بين "من نحن" و"ماذا نفعل".

إن أبنائي هم عائلة ماير. وهم لا يتصرفون دائمًا بالصواب، لكنهم سيظلون دائماً أبناء ماير، لن يكفوا عن كونهم أولادي. معرفتي بقلبهم المستقيم تريحني جداً. يرتكبون الأخطاء لكن ماداموا يعترفون بها وقلبهم مستقيماً، فأنا على استعداد دائم للعمل معهم.

يشعر الله بنفس الشعور نحونا. فنحن أولاد لله كمؤمنين في المسيح يسوع. قد لا نتصرف دائماً بالصورة التي يريدها لكننا لن ننقطع أبداً عن بنوتنا لهذا الآب.

إننا نتصرف وكأن الله يصاب بصدمة إذا اكتشف أننا نرتكب الخطأ. فهو لا يجلس في السماء يضرب كفًّا بكف قائلاً: "لا، لا، لم أكن أتصور أن تتصرفوا بهذه الطريقة عندما أخترتكم" الله يملك ممحاة ضخمة، يستخدمها

ليحتفظ بسجلنا خالياً ونظيفاً. إنه يعرف النهاية منذ بدايات كل الأشياء (انظر إشعياء ٤٦: ١٠).

وهو يعرف أفكارنا مقدماً وكل كلمة لم تنطقها شفاهنا بعد. وهو متعود على كل طرقنا (انظر مزمور ١٣٩:١-٤). ومع كل علمه مقدماً بضعفاتنا وأخطائنا، فقد اختارنا قاصداً وأحضرنا لعلاقة شخصية معه من خلال المسيح.

إذا لم نرتكب أبداً أي أخطاء، فمن المرجح جداً أننا لا نتخذ أي قرار. قال ف. سكوت فيتزجيرالد "لا تخلط أبداً بين خطأ فردي وخطأ نهائي" إن لأخطائنا قيمة، فنحن نتعلم منها. يعجبني ما قاله المؤلف والواعظ ون ماكسل عنها. إذ قال عن الأخطاء:

ا خبارية تعطينا فكرة استرجاعية عن حياتنا.
ل حظات توقف تجعلنا نعيد التفكير ونقَيِّم.
ا شارات لتوجيهنا إلى حيث الصواب
خـ برات واختبارات تدفعنا نحو نضج أكبر.
ط رقات على أبواب حياتنا لنستيقظ ونعي.
ا دوات نستخدمها للنجاح في الفرصة القادمة.
ء خطارات عن نمونا وتقدمنا.

أتذكر الآن نادرة قرأتها وسمعتها مرات عديدة. استهل واعظ مشهور خدمته بأن أمسك ورقة بخمسين دولاراً في يده. وسأل الحاضرين الذين قارب عددهم المائتين: "من تعجبه هذه الورقة بخمسين دولاراً؟".

فبدأت الأيدي ترتفع. ثم قال: "سأعطيها لواحد منكم، لكن دعوني أولاً أفعل هذا". ثم أخذ يقلب الورقة في يده ويضغط عليها حتى تجعدت وسأل: "من لا يزال يريدها؟". واستمرت الأيدي مرتفعة في الهواء.

- "حسنا"، ماذا لو فعلت هذا؟ ثم تركها تسقط على الأرض وجعل يدوسها بحذائه بعنف. ثم التقطها وقد صارت مكرمشة وقذرة وقال: "والآن من لا يزال يريدها؟" وظلت الأيدي في الهواء. "لقد تعلمتم يا أصدقائي درساً قيماً جداً. فمهما فعلت بالورقة المالية، ظللتم تريدونها لأن قيمتها لم تقل. فقد استمرت تساوي خمسين دولاراً".

في مرات كثيرة، نسقط ونتغضن ونُسحق في القذارة من جراء القرارات التي نتخذها والظروف التي تعترض طريقنا. ونشعر كما لو أننا بلا قيمة. لكن مهما حدث أو سيحدث فلن

نفقد قيمتنا في عين الله. فسواء أكنا متسخين أم طاهرين، أم متجعدين أم براقين سنظل في عيني الرب لا نُقدَّر بثمن.

سيتم إشباع رغبتنا في نوال الإعجاب بحق عندما ننال قبول الرب لنا ورضاه عنا. أخبر الرب إرميا أنه عرفه قبل أن يتكون في رحم أمه، وقبله باعتباره أداته المختارة (انظر إرميا ١: ٥). عندما يقول الرب إنه يعرفنا، فهو يعني حقيقة أنه يعرفنا. إنها معرفة تحيطنا بالكامل.

يدهشني فعلاً أن الرب اختارني. لو كان الأمر بيدي لما اخترت نفسي. لكن صندوق الأدوات الإلهي يحوي أشياء مشوِّقة. فهو يعمل بما يرفضه العالم ويعتبره بلا فائدة ويلفظه باعتباره من القمامة: لقد اختار الله جهال العالم ليخزي الحكماء، ومن يدعوهم العالم ضعفاء ليخجل الأقوياء.

"بل اختار الله جهال العالم ليخزي الحكماء. واختار الله ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء. واختار الله أدنياء العالم والمزدري وغير الموجود ليبطل الموجود" (١كورنثوس ١: ٢٨،٢٧).

نعم يختار الله ويستخدم ما يلفظه العالم ويزدريه! هل كان

إرميا كاملاً؟ إطلاقاً! كان على الله أن يعالجه من الخوف، لاسيما خوف الناس. كان إرميا خائفاً من أن يُرفض ويُحتقر. صحح الله موقفه من الكلام بسلبية وشجعه على الاستمرار وعدم التسليم. وطلب الله من إرميا ألا ينظر إلى وجوه الناس. إننا نهتم أكثر من اللازم بكيفية استجابة الناس لنا. وكثيراً ما نتفرس في وجوههم لنلاحظ هل يتقبلون أم يستنكرون ما نرتديه، أو شَعرنا أو تصرفاتنا الخ...

نعم، عانى إرميا من متاعب مثلنا تماماً. وعندما رآه الله لم يرَ فيه أي نوع من الكمال، لكنه رأى بوضوح شخصاً ذا قلب مستقيم يؤمن به. رأى المكونين الرئيسيين لإرضاء الله:

(١) الإيمان (بالمسيح)

(٢) رغبة عميقة في إرضائه.

وبرغم عدم كمال إرميا، إلا أنه خضع لدعوة الرب في حياته. وبرغم الانتقادات وعدم الشعبية والهجوم عليه، سلَّم إرميا رسالة الله بأمانة إلى أمة يهوذا.

وكان إيليا نبياً عظيماً آخر. وقد استخدمه الله بصورة

جبارة، وذاعت شهرته، ومع ذلك كانت له نقائصه. فقد عرف فترات الخوف والاكتئاب ورثاء الذات، والرغبة في الاستسلام (انظر ١ ملوك ١٩: ٣-٤).

وقد كتب يعقوب الجزء التالي في معرض تشجيعه للكنيسة أن تصلي وتثق أن صلواتها ستستجاب:

"كان إيليا إنساناً تحت الآلام مثلنا (بمشاعر وأحاسيس وتكوين يماثلنا تماماً) وصلى صلاة أن لا تمطر فلم تمطر على الأرض ثلاث سنين وستة أشهر. ثم صلى أيضاً فأعطت السماء مطراً وأخرجت الأرض ثمرها (كالعادة)" (يعقوب ٥: ١٧-١٨).

أراد يعقوب التنبير على أن البشر الناقصين أيضاً يمكنهم الصلاة، وسوف يستمع الله. لماذا يفعل الله ذلك؟ لأنه يُسَر بالإيمان وبالقلب المستقيم. ولا يندهش الله من سلوكنا البشري بل يحاول إخبارنا بما يمكن أن نتوقعه من أنفسنا:

"لأنه ما هي حياتكم. إنها بخار (نفخة دخان، شبورة) يظهر قليلاً ثم يضمحل (في الهواء). (يعقوب ٤: ١٤).

صوتُ قائلٍ: نادِ (تنباً) فقلت بماذا أنادي؟ (فأجاب الصوت: أعلن) كل جسد عشب وكل جماله كزهر الحقل (كل ما يمنحه جاذبية: لطفه، وده، رونقه ووسامته، مهما كانت كلها وقتية مثل زهرة الحقل).

يبس العشب، ذبل الزهر لأن نفخة الرب هبَّت عليه حقاً (كل) الشعب عشب (إشعياء ٤٠: ٦-٧).

إن الجسد (الإنسان) يشبه نفخة دخان أو حفنة حشيش لا تدوم إلا وقتاً قصيراً ولا ثبات لها. والله يعلم ذلك ولا يفرق معه لأنه على استعداد للعمل من خلالنا ويتجلى بقوته في ضعفنا.

والحقيقة أن الكتاب المقدس يذكر أن قوة الله تظهر بصورة أكثر فعالية في ضعفاتنا (انظر ٢كورنثوس ١٢: ٩). ولا يشكِّل علم الله بنقصنا أية مشكلة له، إنما نحن الذين نعاني من ذلك. نحن نعاني من تَقَبُّل فكرة أننا غير كاملين ومعيبون سواء بالنسبة لنا أو الآخرين. وإذا كان هاماً لنا أن نعرف ما الذي بإمكاننا أن نعمله، فالأهم هو معرفة ما الذي لا يمكننا عمله. نحتاج أن نتواجه مع ضعفاتنا، لا أن نتأذى منها.

انهض كل يوم بمحبة لله واعمل أقصى ما تستطيع، والباقي عليه! وتذكر أن الله لا يندهش من قصورك ونقائصك وأخطائك. وهو الذي كان يعرف عنك دائمًا ما تكاد تكتشفه الآن، وقد اختارك لنفسه عن قصد. وسوف يقدمك يسوع أمام الله بلاعيب وبلا لوم، إذا وضعت ثقتك فيه (انظر ١كورنثوس ١: ٧-٨).

عندما نواجه مخاوفنا سوف نعثر على حريتنا. يقول يسوع في (يوحنا ٨: ٣٢): "والحق يحرركم". وتعني كلمة "خوف" الهروب. ليس ضرورياً أن نهرب من أي شيء؛ بل نواجه كل شيء في قوة الروح القدس. حان الآن وقت التوقف عن الجري واللهاث "قفوا وانظروا خلاص الرب" (خروج ١٤: ١٣).

تحدثنا في هذا الفصل عن الخوف. والآن دعونا نلقي نظرة أبعد على معنى الثقة بأنفسنا حقاً في الله، وكيف يعيننا ذلك على التغلب على حاجتنا للإعجاب.

(٢) اعرف مكانتك

إن واحداً من أعظم أدوية إدمان الإعجاب هو معرفة مكانتنا في المسيح. وبحسب ٢ كو ٥: ٢١ فقد صرنا برَّ الله في المسيح. وعبارة "في المسيح" (ع ١٩) يجب فهمها جيداً إذا أردنا السير في طريق النصرة. ويختلف كوننا في المسيح تماماً عما نكُونه في أنفسنا. فنحن لا شيء ولا قيمة لنا في أنفسنا، لكننا "في المسيح" نشترك في كل شيء هو اقتناه واستحقه. يقول الكتاب أننا "وارثون" مع المسيح (رومية ٨: ١٧)؛ وفيه نشترك في ميراثه وبره وقداسته.

تَعَلَّم أن تتوحد مع المسيح؛ لترى نفسك باعتبارك "فيه". يعلمنا الكتاب في رومية ٦ أننا متنا معه وقمنا معه في جدة الحياة عندما قام. إذا وضعنا عملة داخل زجاجة وأغلقناها عليها جيداً ثم غمرنا الزجاجة في الماء، فحينئذٍ تكون العملة داخل الماء مثلها مثل الزجاجة تماماً إلا أنها لا تبتل مثل الزجاجة.

يصلح هذا المثال جيداً لفهم معنى القول أننا "في المسيح".

فنحن هذه العملة داخل الزجاجة ألا وهي الرب يسوع. فكل من يؤمن بيسوع المسيح يعتبر "فيه". فيشترك معه في كل ما اجتازه واختبره وإن كان لم يذق بالفعل الخبرة مباشرة لكنها أصبحت له من خلال إيمانه بالمسيح.

ويعلمنا (أفسس١: ١٧-٢٣ و٢: ٥-٦) أننا جالسون معه في السماويات عن يمين الله، فكيف نكون في مكانين في آن واحد؟ هنا في الأرض وهناك في السماء في نفس الوقت؟ هذا ممكن لأننا نعيش في عالمين في وقت واحد، لنا حياة جسدية وأخرى روحية. فنحن أرواح لها نفوس تعيش في جسد؛ فتلمس أقدامنا الأرض وتتلامس قلوبنا مع السماء.

بمجرد أن تفهم كيف يرانا الله من خلال المسيح، سنتوقف عن الاهتمام بما يقوله الناس عنا أو يظنونه فينا، وإساءة الظن بأنفسنا. فلا نعود ندمن إعجابهم وتقبلهم لنا، لأننا قد حظينا بذلك من قِبَل الله. سنقلع عن العيش تحت وطأة الإدانة متطلعين باستمرار إلى إرضاء الآخرين. سنتقبل أنفسنا، وإذ نفعل ذلك، حينئذ يتقبلنا الآخرون أيضاً.

إذا أدمن أحدهم مادةً ما، سيشعر بالألم إذا لم يحصل عليها. فإذا انسابت داخله بانتظام لن يشعر بهذا الألم أبداً. وإذا

أدمنا إعجاب الناس، سنتألم إذا اختفى هذا الإعجاب ـ كما قد يحدث دائمًا ـ في أي وقت من الأوقات. إنما إذا استمد كل منا الإعجاب من الله، لن نشعر بألم الانسحاب لأن حبه وقبوله لنا يفيض باستمرار نحونا؛ وهو متوافر دائماً بل هومجاني وغزير. إننا نعاني كثيراً عندما نحاول الحصول من الناس على ما هو موجود عند الله فقط ويقدر أن يعطيه لنا، ألا وهو الشعور بالقدر والقيمة. انظر إلى الله فيما تحتاجه، لا إلى الناس.

صحة وضعنا أمام الله

لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطية (بالفعل) لأجلنا لنصير نحن (ممنوحين، معتبرين أمثلة لـ..) برَّ الله فيه (ما كان يجب أن نكونه، مقبولين وفي علاقة سليمة معه) (٢كورنثوس ٥ :٢١).

لاحظ أن هذه الآية تذكر أن الله يرانا أبراراً. وهذا يعني أنه يقرر أن ينظر إلينا على نحو معيَّن. يقول الكتاب في (أفسس ١: ٥) إنه أحبنا وقد تبنَّانا كأولاده من خلال يسوع المسيح، وقد فعل ذلك لأنه كان من دواعي سروره أن يفعله

وحسب قصد نيَّته الطيبة من نحونا. وبكلمات أخرى، إن الله يحبنا لأنه يريد ذلك، وليس بسبب أي شئ نفعله لنقتني أو نستحق حبه. وبما أنه الله، فهو يفعل أي شيء يريده ولا يحتاج إذناً من أحد لعمله. قد يبدو غير منطقي أن يحبنا الله، لأننا عندما ننظر لأنفسنا نجد أن لا شيء فينا يصلح سبباً لحبه لنا.

لا يحتاج الله لأسباب لأنه هو الله! وإن عدم فهمنا لما يعمله الله لا يمنعه من عمله. نحن نفهم الله بقلوبنا وليس برؤوسنا. فقد لا نجد في رؤوسنا ما يفسر حب الله لنا، لكننا نتيقن في قلوبنا من هذا الحب. وعادةً يتطلب الناس سبباً ليحبونا ويقبلونا، ولكن الله ليس كذلك.

نحتاج أن نفهم أن تبريرنا لا يعني أننا كاملون تماماً وأن لا ضعفات لنا أو نقائص. بل يعني أننا نؤمن أن يسوع قد صار خطية من خلال موته على الصليب، وبصيرورته خطية جعلنا أبراراً. لقد حمل هو خطيتنا وتحمل عقابها. فالتبرير حالة يضعنا الله فيها بنعمته، وذلك من خلال إيماننا بحقيقة ما عمله يسوع لأجلنا.

والبر، أو الطريقة الصحيحة لنكون ما يريده ويبتغيه الله، ليس نتيجة لما نعمله، بل لما عمله يسوع لأجلنا (انظر ٢كورنثوس ٥: ١٧-٢١).

لقد اكتسبنا البر بنعمة الله ورحمته. لقد جعل الله يسوع خطية ليبررنا، وبالتالي فإذا آمنا بهذه الحقيقة صرنا أبراراً، وانطلاقًا من هذه المعرفة والإيمان نسلك حسناً بالاستقامة.

وعلى الجانب الآخر، إذا لم نؤمن بأن يسوع جُعل خطية لأجلنا وبررنا، فلن نبدأ أبداً عمل ما هو صالح في حياتنا.

فعلينا أولاً أن نعرف أن وضعنا قد تم تصحيحه وتبررنا. لا يمكن أن ننتج ما لا نملكه. ولا يتوقع الله منا عمل شيء لم يعطه لنا هو أولاً.. فهو يعطينا حبه ثم ينتظر منا أن نحب الآخرين. يغمرنا برحمته ولطفه ثم ينتظر لطفنا ورحمتنا نحو الآخرين.

وبنفس الطريقة يعطينا بره هو ثم يتوقع أن نعمل الصالح. إذا كنا شجرة تفاح، فليس من العسير أن نثمر تفاحاً. ولن نعاني في سبيل إتيان الثمر، لأنه الترتيب الطبيعي للأمور.

وبالمثل، إذا علمنا أننا أبرار أمام الله، فالاستجابة الأوتوموتيكية أن نصنع البر. لكن إذا اعتقدنا أننا "خطاة متعفنون" سنستمر نخطئ ونخطئ - لأن ما نعمله ناتج من "كُنْهِنا" - مما نعتقده في أنفسنا. نحن نحتاج إلى "وعي بالبر" لا "وعي بالخطية".

كانت خطايا الناس أيام العهد القديم يتم التكفير عنها بذبائح دم تيوس وماعز، لكن الوعي بالخطية لم يكن يمحى أبداً. فكانت الخطية تُغطَّي ولا تُزال. لكن خطايانا في العهد الجديد تمحى تماماً بدم يسوع، وحتى الوعي بالخطية يمكن أن يزال، لأن ضمائرنا قد غُسلت:

لقد دخل مرة واحدة إلى قدس أقداس (السماء) ليس بدم تيوس وعجول (يصنع بواسطتها صلحاً بين الله والإنسان) لكن بدم نفسه فوجد فداءً كاملاً (إفراجاً أبدياً عنا). لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المُنَجَّسين يقدس إلى طهارة الجسد، فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي (بشخصيته الإلهية الكائنة قبل الدهور) قدم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي؟ (عبرانيين ٩: ١٢-١٤).

الاسترخاء في الروح

"من هو الإنسان الخائف الرب، يعلمه طريقاً يختاره. نفسهُ في الخير تبيت" (مزمور ٢٥: ١٢ ـ ١٣).

حتى نتغلب على إدمان الإعجاب، علينا أن نرتاح روحياً. قد تستغرب هذه العبارة، لكن دعني أشرح ما أعنيه بها.

في سنة ١٩٨٠ كنت أعمل في كنيستي في سانت لويس كسكرتيرة للراعي. وتم الاستغناء عن خدماتي بعد يوم واحد فقط. هل تعرف لماذا؟ لأني لم أكن سكرتيرة؛ وبالتالي تعذر عليَّ تأدية ما تعمله السكرتيرة. كنت أكتب على الآلة، وكنت سيدة أعمال مهذبة، لكن لم يكن ذلك هو ما يريدني الله أن أعمله. لم يكن جزءاً من خطته لحياتي، كنت أريد هذه الوظيفة كجزء من خطتي أنا لحياتي، لكن لم يكن الله ليسمح بذلك لأن له خططاً أخرى لي.

إذا أردت أن تكون تعيساً، مُتْعَباً، مفتقداً للأمان، اقضِ حياتك في محاولة عمل ما لا يصح لك عمله؛ ذلك يشبه تماماً محاولة لبس حذاء ليس على مقاسك.

كنت أتسوَّق ذات مرة مع صديقة لي، وأعجبني حذاء حاولت

قياسه. كان جميلاً حتى أني أردت شراءه، لكنه كان صغيراً عليَّ وقالت لي صديقتي: "هل هو مريح؟" كان سؤالاً حكيماً حقاً، فأجبتها: "هو على ما يرام". لكنها عاودت السؤال "هل هو مريح فعلاً؟" لأنه إذا لم يكن مريحاً فسيؤلمك". قلت لها: "عندك حق، لن أشتريه لأني أريد فعلاً أن أشعر بالراحة".

تذكرت هذا الحادث فيما بعد في خلوتي مع الله وقلت له: "أنت تعرف يارب أني أريد أن أكون مرتاحة روحيًّا، مثل شعوري مع الحذاء المناسب لي ولراحتى. أريد أن أسترخي في الروح، أريد لحياتي الداخلية أن تكون على راحتها".

فكر للحظة في أي فيلم حربي قد شاهدته. فدائماً ما تجد القائد يأمر الرجال بالوقوف في انتباه. فتراهم وقد شدوا قامتهم واتخذوا وقفه صلبة، ولا يتحركون ولا يبدو عليهم الاسترخاء أبداً . ثم يقول الضابط بعد فترة "استرح" وعلى الفور يعودون إلى وضع الاسترخاء. وأنا أؤمن أن الرب يتكلم إلى شعبه قائلاً: "استرح"، ولا يعني ذلك أن الحياة برمتها ستكون سهلة، لكن يعني أن بإمكاننا عمل ما نريد عمله في الحياة بشيء من الراحة.

وصلت إلى نقطة في حياتي أردت فيها أن أشعر بالراحة بشأن علاقتي بالله ومسيري معه. أردت أن أكون في حالة استرخاء بشأن الناس ولا يرهبني عدم رضاهم؛ استرخاء بشأن مواهبي ودعوتي في الحياة؛ استرخاء بشأن كل ما يتعلق بي. أردت الاستمتاع بالله بدلاً من قضاء معظم وقتي معه في خوف من غضبه بسبب نقائصي.

ورفضت أن تكون حياتي مجموعة من العقد، وتعصف بي المخاوف وعدم الأمان. لم أعد أقبل هذا الاحتياج الخاطئ إلى الإعجاب الذي كان يصل إلى حد الاستعداد لعمل أي شيء في سبيل الشعور برضا الناس عني. لم أكن أريد الشعور بالإدانة بسبب عيوبي.

كنت أبغي الرضا عن نفسي والشعور بقيمتي. أردت معرفة مكانتي في المسيح وكيف يمكن أن يبدو "هو" من خلالي إذا أتحت له الفرصة. كنت أطلب بحق ذلك البر والسلام والفرح، تلك الأمور التي تكلم الكتاب أن بإمكاني الحصول عليها (انظر رومية ١٤: ١٧).

وماذا عنك؟، هل تعاني قدراً من الضغط وعدم الراحة وعدم

الأمـان في حـيـاتك؟ هـل تـعـبت مـن كـمٍّ الـعقد الـتـي مـلأت حياتك؟ تعبت من خوفك مما يظنه الناس بك وما يقولونه عـنك؟ هـل تـريـد أن تـكـون "على راحـتك". حسـنـاً، يمكنك الاسترخاء بمعرفة أن الله يحبك، وأنه يقبلك في المسيح ويعجب بك باعتبارك ابنه المحبوب.

اكتشف البساطة في المسيح

"ولكنني أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها، هكذا تُفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح" (٢كورنثوس ١١: ٣) إن الإيمان بالله أمر بسيط حقاً، إلا أننا نجعل منه شيئاً معقداً جداً. يقول الكتاب أننا يجب أن نكون كالأطفال الصغار وإلا لن ندخل ملكوت الله (انظر متى ١٨: ٣). فالأطفال الصغار بسطاء. وهم عامة يصدقون ما يقوله الكبار الذين يثقون بهم، ولا يحاولون إعادة تصوير كل الأشياء، فهم يصدقون ببساطة. يعلمنا عبرانيين ٤ أننا نستطيع دخول راحة الله من خلال الإيمان (انظر آية ٣). ويطالبنا ببذل كل جهد، نكافح بكل حماس حتى ندخل راحة الله. وعلينا أن نعرف تلك الراحة ونختبرها بأنفسنا

(انظر آية ١١). وأولئك الذين دخلوا راحة الله قد تخلصوا من تعب وألم أعمال البشر (انظر آية ١٠). وهم ليسوا مقيدين في عقد بل مرتاحون، آمنون وأحرار في أن يكُونوا أنفسهم.

بل يمكننا دخول راحة الله فيما يتعلق بظن الناس فينا وإعجابهم بنا. بل نصير آمنين في المسيح لدرجة أننا طالما نعرف أن قلبنا مستقيم وصالح فما يظنه الناس بنا قد أصبح شأناً بينهم وبين الله ولا يخصنا. كان بولس يتمتع بهذا النوع من الثقة في المسيح.

ففي كورنثوس الأولي والأصحاح الرابع يبرز أمامنا موقف كانت أمانة بولس فيه موضع مساءلة. وقد بيَّن بكل وضوح عدم اهتمامه البتة بما يفكره الناس إزاءه لأنه كان يعلم من هو في المسيح.

"وأما أنا فأَقَلُّ شيء عندي أن يُحكم فيَّ منكم (في هذه النقطة) أو من يوم بشر. بل لست أحكم في نفسي أيضاً" (١كورنثوس ٤: ٣).

الله في صفنا

فماذا نقول لهذا (للكل)؟ إن كان الله معنا، فمن (يتجاسر)

علينا؟ (من يعادينا إن كان الله في صفنا) (رومية ٨: ٣١).

إن الله معنا، بحسب رسالة بولس إلى أهل روما. ونعرف أن الشيطان ضدنا. والسؤال الذي يجب أن نطرحه هو:

هل نعقد اتفاقية مع الله أم مع إبليس؟ أنت تعرف الإجابة؛ فمن فضلك، توقف عن معاداة نفسك لمجرد أن الشيطان ضدك!

يؤسفني أن أقول إننا نكتشف أحياناً أن الناس أيضاً ضدنا. فالشيطان يعمل من خلال الناس كما يعمل منفرداً. إنه يهاجم ثقتنا من خلال ما يقوله الناس أو ما لا يقولونه. وما مدى أهمية أراء الناس فينا؟ هل نحن مستقلون في تفكيرنا أم نتبنى دائماً أراء الناس؟ إذا كانت أراء الناس وأحكامهم ومواقفهم تجاهنا تنبع أحياناً بوحي من إبليس فبدلاً من الاتفاق مع ما يظنونه ويقولونه، يجب أن نقاوم ذلك بقوة ونتصدى له.

فإذا كنا نعلم أن الله معنا، فلا يهم ماذا نشعر أو رأي الآخرين فينا. كما يقول الكتاب، إن كان الله معنا فمن يقف أمامنا؟ إذا كان في صفنا، فماذا يستطيع أن يفعله الآخرون

بنا؟ "حتى إننا نقول واثقين الرب معين لي فلا أخاف (لن أخشى شيئاً أو أرتعب) ماذا يصنع بي إنسان؟ (عبرانيين ١٣: ٦). يحتاج معظمنا ـ إلى حدٍ ما ـ إلى التحرر من الخوف من الإنسان. نحتاج للتحرر التام من الاهتمام برأي الناس. إن من يحتاجون دائماً لرضا وإعجاب الآخرين بأي وسيلة، يريدون أن ينظر كل واحد لهم من الرأس إلى القدم ثم يقول "رائع". ففي كل ما يعملونه، وفي مظهرهم، وفي أقوالهم وفي كل لفتة وتصرف يأتونه، يريدون أن يقول الناس: "إبداع... إبداع".

إذا أردنا تحقيق الكمال، فسنصاب بخيبة أمل، ولن ننجح، لأننا ـ أنا وأنت ـ بشر بعيوب. وحتى إذا تمكنا من إظهار بعض الكمال، لن يرضي ذلك بعض الناس لأنهم ببساطة أناس تعساء لن يفرحهم شيء حتى يغيروا موقفهم أساساً. نحتاج أن نسلِّم سمعتنا لله ليكون مسئولاً عنها من الآن فصاعداً.

لا تخف من احتياجك

أنا لا أعرفك، لكني أعرف نفسي فأنا إنسانة فقيرة جداً. كل

يوم أطلب إلى الله: "يا أبي، أنت تنظر إلى امرأة يائسة. أنا أحتاج إليك يارب وبدونك لا أستطيع عمل أي شيء".

في يوحنا الأولى ١: ٩ يعلمنا الكتاب أننا إذا أقرينا بخطايانا واعترفنا بها، فسيغفر الله لنا ويطهرنا من كل إثم. ابدأ بالإقرار بكل صراحة بكل أخطائك؛ لا تحتفظ بشيء مخفي؛ أعلنها لله وللناس؛ لا تبحث عن تبريرات أو إلقاء اللوم بعيداً عنك. وإذ تفعل ذلك، ستختبر حرية جديدة، وسوف تشهد طفرة في علاقتك بالرب يسوع وبالآخرين. وقد وجدت أني إذا أخبرت الناس عن أخطائي قبل أن يجدوها فيَّ بأنفسهم، فلن يضار أي من الطرفين بسببها.

انفتح على الناس، فمعظم الناس يحترمون ويعجبون بالأمانة والصراحة. والذي نحاول إخفاءه هو الذي يعود دائماً ويطاردنا.

ادع يسوع إلى كل دائرة من دوائر حياتك. إياك الظن بأنك يجب أن تخفي عنه أخطاءك. فهو يعرف عنها كل شيء على أي حال. والحقيقة أن الله يعرف عنا أكثر مما يمكن أن نتذكره أو نكتشفه وهو يحبنا عل كل حال. سلم للرب ليس

فقط ما فيك بل ما ليس فيك أيضاً. من السهل تسليمه نقاط القوة فينا، لكن يجب أن نقدم له أيضاً ضعفاتنا لأن قوته تُكمل في ضعفاتنا. لا تحتفظ بأي شيء، أعطِ للرب كل شيء! والرب لا يرى فقط حالتنا الحالية لكن يرى ما سنصبح عليه بتأنيه معنا. وهو يعرف خططه لنا، وهي خطط للنجاح والنمو وليس للفشل والهزيمة (انظر إرميا ٢٩: ١١).

إن اعترافاً كاملاً مفصلاً من جانبنا بخطايانا سيهبنا إحساساً جديداً نقياً ورائعاً. ويمكن مقارنة ذلك بمخزن أغلق لمدة طويلة على قمامة قذرة ورِمَم بالية. فبمجرد فتحه وتنظيفه تماماً وإلقاء القمامة والقذارة، والتخلص من النفايات؛ وبدخول الهواء المنعش يصبح مكاناً جديداً ممتعاً.

يمكننا أن نستمتع بذواتنا والشعور بالتجديد والطهرِ عندما نعترف بالكامل بخطايانا ونقبل غفران الله لنا. إذا أيها الأخوة... لنا حرية تامة وثقة بالدخول إلى (قدس) الأقداس (بقوة ودالة) بدم يسوع.

"فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع

طريقاً كرسه لنا حديثاً حَيًّا بالحجاب أي جسده" (**عبرانيين ١٠: ١٩-٢٠**).

تصديقنا لحقيقة تبريرنا أمام الله من خلال الإيمان بيسوع المسيح يفتح لنا طريق حياة جديداً وحيًّا، طريقاً إلى الحرية والجسارة والثقة. ومحاولة؛ اتباع الناموس (بمحاولة عمل كل شيء على نحو صحيح) حتى نحصل على القبول ستقودنا حتماً إلى الموت (كل أنواع البؤس)، لكن يسوع يهب لنا نعمته التي تنتج فينا حياة.

إن النعمة هي قوة الله المجانية المقدمة لنا لتساعدنا أن نعمل بسهولة ما لا نقدر على عمله بأنفسنا.

هناك أمور كثيرة مستحيلة على الإنسان لكنها مستطاعة لدى الله. (متى ١٩: ٢٦). النعمة هي تحرير! فهي تضع حِمْل الأداء على شخص الله بدلاً من المؤمن. وعملنا ـ كمؤمنين في المسيح ـ هو أن نؤمن بينما يعمل الله بالنيابة عنا.

أنا لا أستطيع أن أجعل نفسي مقبولة عند كل الناس ولا أنت أيضاً، لكننا نؤمن أن الله يعطينا نعمة في عين من يريد أن نتعامل معهم. ونحن نحاول أحياناً إقامة علاقات مع أناس

لا يريد الله حتى أن نرتبط بهم. إن بعض من سعيت جاهدة للتقرب منهم كأصدقاء في الماضي، متغاضية حتى عما لا يرضاه ضميري في سبيل كسب قبولهم، كانوا أول من رفضوني عندما لم أفعل تماماً ما كانوا يريدونه مني. والآن أدرك أني طلبت صداقتهم لأسباب خاطئة. كنت أفتقد الأمان وطلبت صداقة الناس "المعروفين"، ظانة أن ارتباطي بالناس المهمين سيجعل مني شخصية هامة. لكن معرفتنا بمكانتنا في المسيح ستحررنا من الاحتياج إلى ترك الانطباع لدى الناس.

فطالما عرفنا من نحن، لن نكون منشغلين برأي الآخرين فينا. فبمجرد أن نعرف من نحن ونقبل أنفسنا لن نضطر لإثباتات نفرضها على أنفسنا. وعندما لا نطالب بإثباتات سنشعر بالاسترخاء ونكون على راحتنا في كل موقف.

ستلاحظ أن يسوع لم يحاول أبداً الدفاع عن نفسه، بغض النظر عن أي اتهام موجه إليه. لماذا؟ لأنه كان يعرف حقيقة نفسه، وهذا هو المهم بالنسبة له. لم يكن يدمن إرضاء الآخرين، وبالتالي كان حرًّا من طغيان ظن الناس به أو

ماذا يقولون عنه. كان راضياً مكتفياً وذلك بالمعرفة التي يملكها عن نفسه. لم يكن يحتاج لإعجاب أحد باستثناء أبيه السماوي، الذي كان مُوْقناً من مسرته به.

إن الأصدقاء الحقيقيين لا يتحكمون فيك ـ بل يساعدونك أن تكون ما يريدك الله أن تكونه. ضع ثقتك وإيمانك في الله، واسأله أن يعطيك أصدقاء حقيقيين لك. ربما لم تفكر من قبل في استخدام إيمانك لطلب أصدقاء صالحين، لكن الله يقدم لنا طريقة جديدة للحياة. فهو يدعونا للعيش بالإيمان. ولا يوجد جزء من حياتك لا ينشغل الله به، وهو يريد أن يشترك في كل أمر تريده أو تحتاجه أو تعمله. لذلك، ادعه للدخول

تنص (روميه ١٤: ٢٣) صراحةً أن "كل ما ليس من الإيمان فهو خطية". وهي عبارة قوية أشجعك أن تتأمل فيها لتتشبع بكل معناها. فكل ما نعمله يجب أن نعمله في الإيمان لنُقبَل أمام الله. لماذا؟ لأن الله يعلم أن الإيمان هو المدخل للاستمتاع بالحياة. وهو بالضبط رغبة الله لك ولي (انظر يوحنا ١٠: ١٠). وقد قال يسوع أننا بدونه لا نستطيع

شيئاً (انظر يوحنا ١٥: ٥). يجب أن نضع ثقتنا في الرب ليساعدنا في اختيار أصدقاء حقيقيين، وكذلك كل ما يخص حياتنا.

جاذبيتك الساحرة للناس

إن معرفتك بمكانتك ستساعدك على اكتساب الثقة، وبالتالي سينجذب الآخرون إليك. فالناس يشعرون بالثقة عندما يكونون مع أناس آخرين واثقين بأنفسهم.

وقد لاحظت ـ كصاحبة عمل ـ أنه عندما أطلب من أحدهم أداء عمل ما فيستجيب بثقة، يرتفع لديَّ مستوى الثقة به. أما إذا استجاب بشيء من الخوف أو الزعزعة، أبدأ فوراً في فقد ثقتي وأتساءل إن كان أهلاً لذلك العمل أم لا. أنا أتقوى بثقة الآخرين وأضعف بنقص ثقتهم. فنحن نؤثر في بعضنا البعض.

والناس يبحثون في الآخرين عن أمور تجعلهم يشعرون بالأمان والثقة والوضع الأفضل. عندما أقف على المنبر لأعلِّم كلمة الله ويبدو عليَّ عدم الثقة، يمكن أن يفقد الناس

فوراً ثقتهم فيَّ. وقد يتساءلون إن كنت أعرف ما أفعل أو كيف يمكن أن أساعدهم إذا كنت أنا نفسي على هذا الحال. وقد حاول الشيطان مراراً أن يسلبني الثقة بينما أعظ، لكن الله علمني أن أثبت تماماً في هذه النقطة. وقد بيَّن لي أني إذا سمحت للشيطان أن يسلب ثقتي، فسيسيطر على الاجتماع الذي أقوده. وعندما يحدث أي توتر أثناء الاجتماع، أجاهد دائماً في الاحتفاظ بثقتي وهدوئي، عالمة أن الناس سينساقون وراء رد فعلي.

حدث مرة أن انفجرت ماسورة مياه أثناء الاجتماع، وبدأ الماء يتناثر على الحاضرين في ركن من أركان المبنى. ورأيت الانزعاج على الوجوه لأنهم كانوا يجهلون ما يحدث. فبقيت هادئة وواثقة بينما طلبت معلومات عما يحدث ثم طمأنتهم بأنهم في أمان تام. فكانت ثقتي مفتاحاً لثقتهم. ولو كنت انزعجت وخفت، لهرعوا جميعاً في محاولة للخروج من المكان مع حدوث ما لا تحمد عقباه.

بإمكاننا أن نقود الناس إما في خوف أو في ثقة. يجب أن نتحلى بالثقة؛ لكن لا نضعها إلا في شخص يسوع. إن معرفتنا بمكانتنا فيه تعطينا الثقة، والنتيجة أن الناس

سيرغبون في صداقتنا. فالواثقون بأنفسهم لا يعدمون الأصدقاء أبداً. لماذا؟ لأنهم يملكون ما يريده الآخرون. يملكون الثقة والطمان، والإحساس بالقيمة والقدر، والشعور بالأمان.

لقد ناقشنا في هذا الفصل موضوع الثقة النابعة من كينونتنا في الله ومن رؤية الله لنا. وأود في الفصل التالي أن نلقي نظرة أعمق على أهمية فهم برنا في الله ـ فالثقة بهذا التبرير والعيش فيه هو وحده الذي يجعلنا نبدأ الاستمتاع بالحرية والتحرر من مأساة إدمان الإعجاب.

(٣) على مقياس البر

عندما نقبل بالإيمان حقيقة أننا بر الله (انظر ٢كورنثوس ٥: ٢١) ونقبلها شخصيًّا، نبدأ في التطابق مع ما نؤمن أن نكون عليه. حينئذ يُرفع عنا حمل عدم الأمان، ولا يعود يتحكم فينا ما يقوله الناس عنا أو رأيهم فينا. إلا أن أي قصور في فهم موضوع التبرير يمكن أن يؤدي إلى إدمان الاسترضاء بالإضافة إلى قيود أخرى تطرحنا بؤساء بلا حرية.

يُعرِّف الكتاب المقدس (Amplified Bible) البر بأنه الموقف الصحيح من الله وبالتالي التوافق الدائم مع إرادته فكراً وكلاماً وفعلاً (انظر رومية ١٠: ٣). وبكلمات أخرى، عندما نكون في موقف صحيح مع الله، نبدأ في التفكير الصحيح، والتكلم الصح، والسلوك الصح. إنها عملية مستمرة من التقدم الدائم. ويعمل الروح القدس فينا مساعداً إيانا أن نكون في ملء ما يريد الآب أن نكونه في المسيح. إن تمام البر – الذي يبدو في غايته في الأفكار الصالحة وكذلك

الكلام والسلوك القويم ـ لا يبدأ حتى نقبل موقفنا المصحَّح من الله من خلال يسوع المسيح. وتكون نقطة الانطلاق هي تلك اللحظة التي نؤمن فيها بأننا بر الله في المسيح حسب ما جاء في (٢كورنثوس ٥: ٢١). أشجعك مرة أخرى أن تقول بصوتٍ عالٍ ما يذكره الله عنك في كلمته المقدسة. قل ذلك يومياً: "أنا برُّ الله في المسيح، وبالتالي أستطيع السلوك في البر".

دعنا نلقي نظرة عن معني أن تفكر وتتحدث وتسلك بالحق مع الله.

الفكر الصالح

اسأل نفسك عما تعتقده عن نفسك. هل تعتقد أنك يجب أن تنال رضا الناس حتى تعيش سعيداً ؟ إذا كان الأمر كذلك، فلن تسعد أبداً عندما يبدي أحدهم أي عدم رضا عنك. هل تعتقد أنك مخطئ من رأسك إلى قدميك؟ ستستمر في التصرف بطريقة خطأ. سيكون ثمر حياتك من عيِّنة ما تعتقده عن نفسك. إن الله يريدنا أن نسلك بالحق، لذلك يعطينا ما نحتاجه لتحقيق ذلك.

يعطينا الله عطية البر لنكون أبراراً في فكرنا وقولنا وفعلنا! وبرغم أننا أخطأنا، فإن عطية البر المجانية من الله لا تقبل القياس أبداً على خطيتنا. إن خطيتنا عظيمة، لكن عطية البر المجانية من لدنه أعظم. إن خطيتنا تُبْتَلع في تبريره. إن برنا لا يوجد فيما يظنه الناس عنا، بل يوجد في المسيح. فهو برنا الذي من الله.

"لأنه إن كان بخطية الواحد (التعدي، المخالفة) قد ملك الموت بالواحد، فبالأولى كثيراً الذين ينالون (من الله) فيض النعمة (الإحسان غير المستحق) وعطية البر (جعلهم في موقف صحيح منه) سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح (المسيا، الممسوح) (رومية ٥: ١٧) يجب أن نتعلم أن نتفكر في برنا ونؤمن به.

الكلام الصالح

"للكلمات قوة؛ فتحَسَّب لها. قد يكون خلاصك في كلام وقد تكون أيضاً إدانتك" (متى ١٢: ٣٧).

إن أحد طرق تعلمنا كيفية التكلم بالحق هو أن نتنبه لما نقوله عن أنفسنا.

التصرف الصالح

تعلم كنائس كثيرة عن العقيدة، وهذا جيد في حد ذاته. فنحن جميعاً نحتاج لأساس صلب من العقيدة. لكن بجانب ذلك، نحتاج أن نتعلم كيف نعيش حياتنا. فإذا كنا نريد تقديم يسوع على نحو صحيح، علينا أن نسير في موكب النصرة. يقول الكتاب أننا أعظم من منتصرين (رومية ٨: ٣٧).

وعلينا أن نملك في الحياة من خلال يسوع المسيح، (رومية ٥:١٧). فإذا كنا مهزومين لا نعرف طعم النصر فلن يتطلع أحد إلى ما لدينا. لكن إذا كنا منتصرين فسيرى الناس ذلك ويشتاقون إلى نفس الانتصارات في حياتهم. وبكل وضوح، إذا أردنا أن يقبل الناس يسوع فعلينا أن نبين لهم أن العلاقة مع يسوع تصنع اختلافاً كبيراً في حياتنا. وعندما ندعو أنفسنا مسيحيين ونعيش بطريقة سيئة سيعتقد الناس أننا مراؤون مُدَّعون. لقد أعطانا الله قوة اتخاذ الخيارات الصحيحة وإظهار السلوك الصالح.

إن طريقة تصرفنا لهي علي قدر كبير من الأهمية! عندما

أدركت أنني مسيحية لا تتمتع بأي قدر من النصرة، دفعني ذلك إلى طلب علاقة أعمق مع الله. وقد حدث ذلك عام ١٩٧٦. كنت أعرف كمؤمنة أنني نلت الخلاص بالنعمة وأنني ذاهبة إلى السماء عندما أموت، لكنني لم أكن مستمتعة برحلة حياتي. كنت بائسة وتتَّسم حياتي ومواقفي بالسلبية. ولم يكن لي أي تأثير إيجابي في حياة الآخرين. كنت أحتاج إلى تغيير. كنت أذهب إلى الكنيسة ولم أكن أعرف كلمة الله عن حق. كنت أثق به بشأن الذهاب للسماء لكن ليس فيما يختص بأمور حياتي. كنت أدعوه في الأزمات لكن لم أكن أشركه في حياتي اليومية. كان الله يعد لي حياة أفضل بكثير مما كنت أحلم به، وهو لديه نفس الشيء لك.

لا تقنع بأقل من الأفضل الذي يقدمه لك الله. إذ يمكنك أن تستمتع بعلاقة عميقة وحميمة وشخصية مع الله من خلال يسوع المسيح. بإمكانك الاستمتاع بصحبة يومية معه والعيش في نصرة بينما تعبر هذه الحياة. إن الرب يشتاق أن يعلِّمنا كيف نحيا، وكيف نفكر وكيف نتحدث وكيف نسلك، من أجل سعادتنا وخيرنا كما من أجل تمجيده أيضاً.

والكتاب المقدس يعلِّم هذه المبادئ بكل وضوح؛ وعندما ندرس كلمة الله بجدية ونسمح للرب أن يبارك حياتنا بالحق، فالذي يمكن أن يكشفه لنا لا حدود له. فنحن سفراؤه في الأرض وينبغي أن نمثله خير تمثيل (انظر ٢كورنثوس ٥: ٢٠).

بين التعليم والحرية

وأما (بخصوصك) أنت، فتكلم بما يليق والتعليم الصحيح (السلوك والحياة الصالحة بما يتفق والمسيحي الحقيقي) (تيطس ٢: ١).

ظللت أذهب إلى الكنيسة لسنوات عديدة ولا أذكر أني استمعت قط إلى رسالة تتحدث عن تأثير كلماتي على حياتي الشخصية. ربما استمعت إلى شيء عن تأثير أفكاري، ومع ذلك فلم تكن كافية للتأثير في حياتي حيث أنها لم تُغيرِّ طريقة تفكيري. سمعت عن النعمة والخلاص وأمور أخرى طيبة. لكن لم يكن ذلك كل ما أحتاج معرفته حتى أعيش في البر والسلام والفرح الذي يقدمه الله لكل المؤمنين (انظر رومية ١٤: ١٧).

هنـاك كنـائس رائعـة كثيرة تُعلِّم كلمـة اللـه في مجملـهـا، وأشجعك ـ أينما ذهبت ـ أن تتأكد في تلك الكنيسة أنك تتعلم وتنمو روحيًا.

لا ينبغي أن نذهب إلى الكنيسة لمجرد تتميم واجب نظن أن علـيـنـا تـأديتـه تجاه اللـه. بل نذهب من أجل الشركة مـع المؤمنين الآخرين، ولعبـادة الرب، ولتـعلُّم كيفيـة العيش نوعية الحياة التي مات يسوع لننالها ونستمتع بها. إن الكتاب المقدس يدعونا مَلْحاً ونوراً، أي أن حياتنا يجب أن تجعل الناس عطشى لما نملكه وأن نرسل نوراً يلمع في ظلمة حياتهم.

وما يحدث أحياناً أن التعليم الديني لا يتعمق بنا بالقدر الكافي؛ بل يمكث بنا في حيِّز العقيدة. إننا نؤخذ أحياناً في تلابيب العقيدة والأحكام والنظم الكنسية بحيث لا ننطلق في القوة والنصرة والحرية التي مات يسوع ليهبها لنا. مثالاً لذلك، لقد تعلمت أن أصلي، لكن لم أتعلم أنه يمكنني التقدم "بجسارة" إلى عرش النعمة. لم أتعلم عن البر بواسطة يسوع؛ وبـالـتـالي لم يكن لـ(يعقوب ٥: ١٦) أي تـــأثير في

حياتي وهو الذي يخبرني عن القدرة الجبارة لصلاة البار. كنت أحاول الصلاة بينما يملأني الشعور بالذنب والإدانة؛ وينتابني شعور بالزعزعة والخوف من عدم رضا الله عني.

وكانت النتيجة صلوات ضعيفة وغير مؤثرة. تعلمت عن مبدأ الصلاة وليس قدرة الصلاة المتاحة للمؤمن الذي يعرف التبرير. بل الأدهى من ذلك أن تَكَوَّن لديّ انطباع أنه من الروحانية الشعور بعدم القيمة وأن أرى نفسي خاطئة بائسة مسكينة. ومع أننا جميعاً قد أخطأنا بالفعل، لكنه ليس بالأمر الروحي ذلك الشعور السيئ تجاه أنفسنا إلى حد فقدان الأمان، وأننا أناس لا خير فينا، بغيضين وأردياء لا يخرج منا شيء صالح.

كان هذا تفكيري وشعوري بدون يسوع، ثم استمر ذلك بعدما قبلته في حياتي مخلِّصاً وسيداً. لقد كان خطأً كل الخطأ.

إن إرادة الله - وبالتالي فهو أمر روحي ويسر قلبه - أن نرى أنفسنا في المسيح. يجب أن نصدق أننا مادمنا قد تُبْنا عن خطايانا وقبلنا يسوع كمخلص، فهو قد أعطانا بره. علينا

أن نسير في هذه الحياة مرفوعي الرأس لأننا أولاد الله وهو يحبنا.

الديانة والبر

يصاب البعض في الوسط الديني بالإحباط عندما يسمعون شخصاً مثلي يتحدث عن البر. وقد نالني من الإدانة والنقد من جانب بعض المتدينين فيما يختص بموضوع التبرير ما يفوق أي موضوع آخر علَّمت عنه. وقد اتُهِمْت بقولي أنني بلا خطية، وهو قول لم أتلفظ به مطلقاً. أعلم أني أفعل أشياء خاطئة، أخطئ، لكنني لا أركز على خطيتي أو أنظر إليها باستمرار. لأن شركتي هي مع الآب والابن والروح القدس (انظر ١يوحنا ١: ٣).

وبما أن الله قد أوجد الحل لخطايانا، فأنا أسأله الغفران لكل خطاياي . وأقبل هبة غفرانه ثم أواصل شركتي معه وخدمتي له. ولا أعتقد في وجوب إضافة شعوري بالذنب إلى ذبيحته لأن ذبيحته كانت كاملة وتامة، ولا يمكن لأي عمل جسداني من طرفي أن يزيد ويضفي تحسيناً على ما عمله هو.

يا أولادي أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا. وإن أخطأ أحد فلنا شفيع (وسيط) عند الآب (وهو) يسوع المسيح البار (كلي البر. الذي يتمم إرادة الآب في كل قصد وفكر وفعل) (١يوحنا ٢: ١).

ومن البديهي أن يكون هدفنا ألا نخطئ. لكن إن أخطأنا، فإن الله قد قدم بالفعل يسوع الكامل بدلاً منا، الذي تمم البر في كل أمر. وهنا يصبح السقوط في الشعور بالذنب صورة أخرى من صور إدمان الاسترضاء؛ لأننا نشعر باكتسابنا لغفران الله عن طريق الشعور بالذنب. ذلك يمثل طريقتنا الجسدانية في "دفع" الثمن عن خطئنا. إنما الخبر السار أن يسوع قد دفع الثمن بالفعل وعندما نريد الحصول على الغفران علينا أن ننظر إليه ونتَّحد به.

لم يمت يسوع عنا لنحصل على ديانة، بل لتكون لنا علاقة حميمة مع الله بواسطته. مات لتُغفر خطايانا ويكون لنا حق الوقوف أمام الله. مات لنأتي بجسارة أمام عرش النعمة في الصلاة ونحصل على احتياجاتنا.

هل لك شركة مع الله أم مع خطيتك؟

يفرح عدو الخير بتذكيرنا كل يوم بكل أخطاء ماضينا. ففي يوم الإثنين يذكرنا بخطايا السبت والأحد، ويذكرنا يوم الثلاثاء بخطايا يوم الإثنين، وهكذا.

كنت ذات صباح أقضي وقتاً مع الرب، متفكرة في كل مشاكلي والمجالات التي فشلت فيها، عندما كلَّم الرب قلبي فجأة: "جويس، هل لكِ شركة معي أم مع مشاكلك؟" إن شركتنا مع الله هي التي تساعدنا وتمنحنا قوة للتغلب على مشاكلنا؛ إننا نتقوى من خلال اتحادنا به. فإذا كنا نقضي وقتنا مع الله في صحبة أخطاء الأمس، لن نحصل أبداً على قوة التغلب عليها اليوم. إنَّ تأَمُّلنا في سقطاتنا وغلطاتنا يضعفنا، لكن التركيز على نعمة الله واستعداده للغفران يقوينا:

لأن الموت الذي ماته قد ماته للخطية مرة واحدة (**منهياً علاقته بها**) والحياة التي يحياها فيحياها لله (**في شركة لا تنقطع معه**). كذلك أنتم أيضاً احسبوا انفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله (**في شركة لا تنقطع معه**) بالمسيح يسوع ربنا (رومية ٦: ١٠-١١)

إن علاقتنا وشركتنا يجب أن تكون مع الله وليس خطايانا. مامقدار شركتك مع خطاياك وسقطاتك وأخطائك وضعفاتك؟ إن كل وقت تقضيه في ذلك هو وقت ضائع. عندما تخطئ، عليك أن تقر بذلك، وتطلب الغفران، ثم تواصل شركتك مع الله.

يخبرنا المقطع الكتابي أعلاه أننا أحياء لله، نعيش في شركة غير منقطعة معه. فلا تدع خطاياك تقف بينك وبين الرب. حتى عندما تخطئ، يريد الله أن يقضي معك وقتاً، يسمع فيه صلواتك ويستجيب، ويمدك بكل ما تحتاج. هو يريدك أن تجري نحوه، لا أن تجري منه!

كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية (عن قصد وبمعرفة وباعتياد) لأن زرعه يثبت فيه (مبدأ الحياة، الطبيعة الإلهية، يبقى فيه دائماً) ولا يستطيع أن يخطئ لأنه مولود من الله (١يوحنا ٣: ٩).

أحب أن أعرض الموقف كما يلي: اعتدت أن أكون خاطئة كل الوقت، ولا مانع أن أنزلق مرة إلى فعل شيء صالح! والآن بعد سنوات من العلاقة الشخصية العميقة مع الله وكلمته، أركز

على كوني مطيعة كل الوقت لله. لازلت أرتكب أخطاء، لكن ليس بتلك الكثرة التي كنت أعتادها. لست في المكان الذي أتطلع أن أكون فيه، لكن شكراً لله أني لست حيث اعتدت أن أكون في الماضي.

أحياناً أرتكب أخطاء عفوية، لكن إتيان الخطأ ليس رغبة قلبي. ولا أرتكب الخطية عن قصد وبنيِّة مبيتة؛ ولا أعتاد الخطية. لذلك لا أسمح لتلك المناسبات الاستثنائية بزعزعتي. قد لا أعمل كل الأمور على نحو صالح، لكني أعرف أن نية قلبي صالحة.

قد أكون مستمتعة بيوم رائع، ويغمرني إحساس بالقرب من الله وأُحلِّق في جو روحي. ثم يدخل ديف زوجي إلى البيت ويبدي عدم اكتراث أو إعجاب بالثوب الذي أرتديه، فأثور فجأة غاضبة ومدافعة، وأخبره بكل ما لا يعجبني فيه هو أيضاً.

بالطبع لا أقصد أن يحدث ذلك مني، بل أحرص على أن اكون لطيفة جداً وخاضعة لدى عودته للبيت. لكن، وكما قال بولس في رسالة رومية ٧، لست أفعل ما أريده بل ما

أبغضه فإياه أفعل. وما يُسِر حقاً أن الله يرى قلوبنا لا خطايانا!

إني أشبه ذلك الرجل الذي يصلي في سريره: "يارب، حتى الآن لم أرتكب أي خطأ اليوم. لم أكن متذمراً ولا أنانياً أو ضيق الأفق. لكن في خلال لحظات سوف أنهض وعندئذ سأحتاج لعون كبير".

وعلى طريقتي شخصيًّا يمكن أن أقول: "ليس لدي أي مشاكل أو صعوبة في التعامل مع الناس طالما لا يوجد أحد في البيت سواي!".

نريد التصرف على نحو سليم لأن قلوبنا مستقيمة، إلا أن خططنا لا تنجح دائماً كما قال بولس. لكن شكراً لله على رحمته التي تتجدد كل صباح (انظر مراثي ٣: ٢٢-٢٣).

المنافسة

لا يعني مجرد كونك مؤمناً أن تعمل الصلاح طوال الوقت. لكن لأنك صححت موقفك مع الله، يمكنك أن تتوقف عن مقارنة نفسك بكل واحد والتنافس معه.

إن قبولنا لا يكمن في كوننا نشبه أحدهم، بل في كوننا مَن

نحن من خلال الإيمان بالمسيح. كن أفضل "أنت" بقدر ما تستطيع! لا تبحث عن شخص آخر في الكنيسة تظن أنه "الأخ المؤمن السوبر" أو "الأخت القديسة" الذي يبدو وكأنه مجمع الفضائل جميعاً، ثم تحاول بكل طاقتك أن تشبهه.

هذا هو الجانب الذي يبدو من طبيعتهم في الكنيسة، وربما كان هناك جانب مختلف تماماً في البيت. كلنا لدينا ما نحاول إخفاءه عن الناس. وبرغم الروعة التي قد نبدو بها أمام الآخرين، إلا أننا نرتكب أخطاء. وأنت لست أسوأ من أي واحد من الآخرين. لك نقاط قوة ونقاط ضعف، تفعل الصواب وترتكب الخطأ، تفعل الخطية كما يفعلها الآخرون. والخطية هي الخطية مهما كان نوعها أو حجمها. وبصرف النظر عن مدى جدية محاولاتنا، فلن يصل أي منا إلى الكمال في هذه الحياة، لكن هذا لا يعني أننا بلا قيمة أو قدر".

إنك شخص خاص وفريد ويعني هذا أنه توجد نسخة واحدة فقط منك، بكل ما فيك. يوجد بين أسنان زوجي الأمامية فراغ، وقد تحدثنا منذ وقت مضى بشأن إصلاحه. وبعد تفكير بالأمر، أخبرته أني أفضل أن يتركه هكذا لأنه جزء

منه، وأنا أحبه على هذا النحو. قد يعتبر الناس هذا الفراغ عيباً، لكن بالنسبة لي هذا هو زوجي ديف. وكان هذا رأي أولادنا أيضاً.

إن مقارنة أنفسنا بالآخرين أو منافستهم سيسبب فقط أمرين: شعوراً بالكبرياء لأننا نرى أنفسنا أفضل من الآخرين، أو شعوراً بعدم الأمان لأننا نرى الآخرين أفضل منا. وكلا الموقفين خطأ ينبغي تحاشيه.

لقد كسر يسوع الحاجز الفاصل بين الناس بحسب ما جاء في الكتاب المقدس (أفسس ٢: ١٤). ولا قيمة لأحد فينا إلا بما حازه في المسيح. إن نقاط القوة فينا هبات منه، ولا يمكننا التفاخر بها؛ أما ضعفاتنا فتسترها النعمة ولا نملك إلا أن نشكره علي تلك النعمة. وبما أن نقاط قوتنا عطايا من الله، فلا مجال للحكم على قيمتنا بمقارنة أنفسنا بالآخرين.

فإذا كان الله هو عاطي المواهب فلا ينبغي أن نشعر بالدونية لمجرد أنه لم يعطنا نفس المواهب التي أعطاها لشخص آخر. إنما كلنا لدينا مواهب ولكنها تختلف من فرد لآخر (انظر رومية ١٢: ٣-٨).

نرى في الكتاب المقدس موقفاً شعر فيه تلاميذ يوحنا المعمدان بالتهديد من جرَّاء شعبية إرسالية يسوع. فذهبوا ليوحنا قائلين: "هوذا الجميع يندفعون وراءه". أما رد يوحنا فيجب أن يأخذه بجدية كل من يشعر بالحاجة إلى مقارنة نفسه أو مواهبه أو قدراته بالآخرين:

أجاب يوحنا وقال لا يقدر إنسان أن يأخذ شيئاً (لا يدَّعي شيئاً) إن لم يكن قد أعطي من السماء (الإنسان يجب أن يقنع بقبول العطية المعطاة له من السماء؛ ولا يوجد مصدر آخر) (يوحنا ٣: ٢٧)

كان يوحنا يعرف ما أرسل ليعمله، وكان يعمله بالفعل. لم يكن يشعر بالتهديد من جانب أي واحد يبدو أعظم أو أفضل منه. كان يعرف أنه مسئول فقط أن يكون على أفضل صورة ممكنة. ولم يكن مسئولاً أن يكون أي شخص آخر أو حتى يشبهه. أحياناً نطلب أن نكون كالآخرين، آملين أن نكسب رضاهم. يجب أن نتذكر أن مرضاة الله هي فقط ما يعوزنا، وهي لنا، طالما نتبع إرادته لحياتنا. ولن يساعدنا الله أبداً لنكون شخصاً آخر سوى أنفسنا. أثق أن الروح القدس يحزن

عندما نتنافس مع الآخرين أو نقارن أنفسنا بهم. إنه يريد أن نكون أنفسنا وأن نعجب بها. من فضلك تذكر أنه ليس عليك مشابهة أي شخص آخر حتى تكون مقبولاً. إن مقاييس العالم ليست هي مقاييس الله. فقد يقول العالم إنك تحتاج أن تشابه هذا أو ذاك، لكن إرادة الله هي أن تكون نفسك.

قضيت سنوات طويلة في محاولة مشابهة الآخرين: زوجي، جارتي، زوجة الراعي.. الخ.. وارتبكت لدرجة فقدان رؤيتي لنفسي. وكان يوم انتصار عظيم لي عندما أدركت أخيراً أن الله يريدني فقط أن أكون "أنا"، وأنه خلقني بيده القديرة في بطن أمي، وأنني لم أكن غلطة، وأنني بإمكاني الوقوف أمامه كفرد دون الحاجة إلى مقارنة نفسي بالآخرين.

إن يسوع هو مقياسنا وليس أي شخص آخر. فإذا رُمت أن تشبه شخصاً آخر، فليكن يسوع نفسه. هو برنا، فالتصق بهذا البر الذي ينتج فينا مشاعر الإحساس بالصحة والصواب لا الخطأ، وابدأ العيش حياة خالية من الزعزعة. والآن دعونا نلقي نظرة على أهمية الإحساس بالقيمة في التغلب على إدمان الاسترضاء.

(٤) تغيير نظرتك لنفسك

"لأنه كما شعر في نفسه هكذا هو"(أمثال ٢٣: ٧).

يريد الله أن يساعدك في تغيير نظرتك لنفسك. إن صورتك الذاتية هي ذلك التصور الذي تحمله لنفسك في داخلك. قد تحتفظ بصور لزوجتك أو أولادك أو أحفادك أو أي شخص في محفظتك. فإذا قال لك أحدهم: "دعني أرى صورة لعائلتك" فستفتح المحفظة وتريها له. لكن إذا قلت لك: "دعني أرى الصورة التي تحتفظ بها لنفسك في قلبك". فماذا سوف تريني؟

يهزني أحياناً أن كثيراً من الناس لا يدرون أنهم لا يحبون أنفسهم حتى أوجِّه انتباههم لذلك. وقد اقتنعت لسنوات طوال أن معظم مشاكل الناس ينبع من كيفية شعورهم نحو أنفسهم. وأظن أن عدم إحساسهم بالأمان سببه أنهم يصارعون من أجل السلطة والمنصب. فهم يستمدون إحساسهم بالقيمة مما يعملون بدلاً مما يكونون هم في

أنفسهم. وهذا سبب صيرورة بعض الناس من مدمني الاسترضاء، يعوزهم دائمًا رضا الآخرين وإعجابهم ليشعروا بالسعادة والأمان. وهذا أيضاً سبب انغماس بعضهم في التنافس إلى درجة عدم الاستمتاع حتى بممارسة بعض الألعاب البسيطة. فيكون لسان حالهم "يجب أن أفوز" ويستمدون قيمتهم من حتمية أن يكونوا الأوائل أو الأفضل.

يصارع الكثيرون ليكونوا الأوائل. إلا أن يسوع قال إن آخرين يكونون أولين، وأولين يكونون آخرين (انظر متى ١٩: ٣) وكان يشير إلى مؤمني الأمم الذين سيقبلهم قبل اليهود غير المؤمنين. لكني أعتقد أنه يمكن تطبيق هذا الكلام على أولئك الذين يحاولون النجاح بدون مساعدته.

يقول مزمور ٧٥: ٦ ، ٧ إن الرفعة تأتي من الله. قد نلوي عنق الظروف والناس للحصول على ترقية، لكننا لن نشعر بها أبداً بحق. تعلمت بالخبرة أنه إذا حصلت على شيء بالتحايل والادِّعاء، فسأحتفظ به باتِّباع نفس الأساليب. وفي النهاية ينالنا التعب من العيش بهذه الطريقة ثم نجد أنفسنا في فخ لا نعرف كيفية الفكاك منه.

قوة المنصب

أحياناً نظن أن حصولنا على منصب ما سيعطينا قوة، في حين أنه في الواقع سينتهي الأمر بتسلط المنصب علينا.

أتذكَّر جيداً ذلك الوقت الذي تطلعت فيه إلى منصب في كنيسة كنت أحضرها. وعلمت أنه لكي أحصل على المنصب يجب أن أنال إعجاب وقبول مجموعة معيَّنة كانت لهم سلطة التصويت عليَّ بالقبول أو الرفض. فقمت بكل المحاولات: أرسلت هدايا، ودعوات على العشاء، وعملت وقلت كل ما هو مناسب مرات ومرات حتى ظفرت أخيراً بما كنت أريد. وسرعان ما اكتشفت ـ بعد نوال المنصب – أني إذا لم أدع أولئك الناس يتحكمون فيَّ فسيردون بالانتقام.

فكانت هناك رسالة "صامتة" مفادها: "لقد أولياناك هذا المنصب، فإذا أردتِ الاحتفاظ به، فعليك أن تحتفظي برضانا عنك". لقد اشتهيت ذلك المنصب لأني كنت أحتاج في ذلك الوقت أن أشعر بقيمتي وأهميتي، ومع ذلك انتهيبي الأمر إلى الشعور بالبؤس وبالتبعية لمن يحركونني.

كل شيء نربحه بواسطة أعمال الجسد، سنضطر من أجل

الحفاظ عليه إلى الحفاظ على نفس الأسلوب الذي ربحناه به. فما إن فعلت بعض الأمور التي لم تعجب أولئك الناس، إلا وسرعان ما رفضوني كلهم. كانت علاقتي بهم في مجملها علاقة زائفة، فلم يكونوا يحبونني أو يهتمون بي وكذلك كان الوضع من ناحيتي.

لم يكن هذا المنصب ليمنحني الأمان الدائم والشعور بأني مَرْضِيٌ عني، ذلك لأن مشكلتي الحقيقية كانت تكمن "داخلي" وليس في الظروف. لم يكن احتياجي لمنصب؛ بل لإعلان عن محبة الله غير المشروطة. كنت أحتاج لطلب رضا الله لا رضا الإنسان.

وليس بمقدور أي قبول أو رضا من الناس أن يجعلنا في أمان دائم ما لم نقبل نحن أنفسنا ونقنع بها. والقبول الخارجي الذي نبحث عنه سيتحول إلى إدمان.

نجتهد أن نحصل على إعجاب أو مجاملة ونستحسن ذلك لبرهة قصيرة، ثم نجد أنفسنا محتاجين لإعجاب آخر ثم آخر ثم آخر. ولن تأتي الحرية الحقيقية حتى ندرك تماماً أننا لا نحتاج أن نصارع لنحصل من الإنسان على ما يعطيه لنا

الله مجاناً: الحب والقبول والرضا والأمان والقيمة.

إن العالم مليء بالادعاء ومن المؤسف القول أن الكنيسة ليست بمنأى عنه. فالناس يمارسون في الكنيسة نفس الألاعيب السخيفة التي يمارسونها في العالم.

وهم يتنافسون على المنصب والسلطة لأسباب مختلفة كلها خاطئة.

كنت أنظر لنفسي نظرة متدنية فحاولت تحسين صورتي عن طريق المنصب. أما احتياجي الفعلي فكان إدراكي أن غلاوتي عند الله كإنسانة منفصل تماماً عن مكانتي في الحياة. أنا رئيسة إرساليات جويس ماير، وهي إرسالية منتشرة في العالم كله ولها ثمانية مكاتب عالمية بالإضافة لمكتب الولايات المتحدة. يبدو منصبي مهماً لكني تعلمت من خبرة الماضي ألا أسمح لإحساسي بالقيمة أن يرتبط بالعمل الذي أعمله، حتى إذا حان وقت توقفي عن هذا العمل، أشعر بالثقة والطمان لأني لازلت بنفس الغلاوة والقيمة لدى الله بعيداً عن عملي.

أشجعك ألا تدع قيمتك ترتبط بأي منصب. فالمناصب تجئ وتذهب في هذه الحياة، لكن الله ومحبته يبقيان. والرب لا يتأثر بمناصب الناس (انظر غلاطية ٢: ٦).

والخلاصة أنه إذا أدركنا مكانتنا في المسيح فستكون نظرتنا لأنفسنا صحية بصرف النظر عن منصبنا أو مُسمَّي وظيفتنا.

وكان لي أيضاً منصب في كنيسة أخرى في سانت لويس ميسوري لسنوات عديدة. ولما أخبرني الله أنه حان الوقت للتخلي عنه والبدء في إرساليتي الخاصة، لم تكن طاعتي بالأمر اليسير. والحق أني لم أكن مطيعة لبعض الوقت وكلما استمر عصياني زادت تعاستي. كنت أحب وظيفتي. كان لي وضعي، ومكان خاص لسيارتي يحمل اسمي، ومقعد مضمون في الصف الأمامي في الكنيسة، وكذلك إعجاب الجميع. كنت "واصلة" وعلى علم ودراية بكل ما يحدث. لم أكن أدرك حقيقة مبلغ اعتمادي على المنصب ليمنحني مشاعر الأمان حتى قال لي الله أن أبتعد عنه.

وأخيراً أطعت الرب، لكنني كنت مهزوزة حتى النخاع

بـالأحـاسيس الـتـي انـتـابـتـنـي بـعـد تـركـي لـلمنصب. واصلت حضوري للكنيسة هنـاك، لكن في كل مرة كنت أذهب للخدمة أشـعـر بـالـغربـة. ذهب مقـعـدي؛ راح مكـان وقـوف السيـارة؛ وكـانـت الأمور تجري ولا أدري عنـهـا شيئـاً، ولم أعد أعرف موضـع انتمـائي بعد. كـان على الله أن يعلمني أن مكـاني فيـه هـو، وأنـه طالمـا عرفت هذه الحقيقة، فلا يصح أن أشعر بعدم راحَة في أي مكـان مـع أي شخص.

هل شعرت يومـاً بـأن كل دعـامـات حيـاتك قد تم الإطـاحـة بـهـا من تحتك؟ إذن، اعتبر أن الله قد أدى لك خدمة عظيمة. أحـيـانـاً نـحصل عـلـى دعـم وسند مـن الـنـاس أو المنـاصب، والطريقة الوحيدة لتبين ذلك هو أن تتم إزالة هذه الدعـائم. والدعـامـة شيء يحفظ شيئـاً آخر في مكـانـه فيبقى آمنـاً. ويريد الله أن نجعل أمـاننـا فيـه وليس في الأشيـاء. فهو الوحيد في الوجود الذي لا يعتريه اهتزاز، الوحيد الآمن والموثوق. وهـو يسمح لنـا ببعض "الدعـامـات" في الحيـاة بينمـا نتجذر نحن فيه، إلا أنـه ينزع في النـهـايـة تلك التـي نعتمد عليهـا بـإفراط. قد يرعبنـا ذلك في البداية، لكن في النـهـايـة يصبح ذلك أفضل شيء حدث لنـا. فعندمـا نعدم الآخرين تتعمق علاقتنـا بـالله

الذي يحملنا ويجتاز بنا طريق الحياة، بكل ما نقابله فيها.

إذا كنت تشعر أنك فقدت شيئاً أو شخصاً لا تستطيع أن تعيش بدونه، فأنت مخطئ. فالوحيد الذي لا تستطيع الحياة على الإطلاق بدونه هو الله. هو قوتنا وملجأنا في وقت الضيق، وحصننا العالي، وسترنا (انظر مزمور ٩: ٩؛ ٣١: ٤؛ ٣٢: ٧؛ ٣٧: ٣٩؛ ٤٦: ١١).

عندما فقدت أصدقائي، وبعدها فقدت منصبي في الكنيسة، تألمت بشدة لدرجة عدم تصوري إمكانية مواصلة الحياة. إلا أن هذه الأحداث قد ساعدتني في النهاية أن أتبين اعتمادي الكامل وبشدة على الناس ورأيهم فيَّ، كما اعتمدت على منصبي، فقد كنت أظن أن تقلدي لمنصب رفيع سيجعل الناس يحسنون الظن بي ويقبلونني. وقد أزالها الله كلها وعلمني الأمور التي أتمنى أن تتعلمها في هذا الكتاب. إن قيمتنا وتقديرنا، وقبولنا واستحساننا، كلها تأتي منه. وطالما كان لنا هذا الفكر فقد نلنا أثمن ما في العالم.

عندما نحتاج لتلك الأشياء التي يعطيها العالم حتى نشعر بالاستحسان تجاه أنفسنا، حينئذ يمنعها الله. وما أن نكف

عن الشعور بالاحتياج إليها، يمكن أن يعطيها لنا لأنها لن تتحكم فينا. الآن صار لي أصدقاء وتأثير ومنصب وسلطة وقبول الخ.. لكن مفتاح الاحتفاظ بها هو الإدراك بدون أي شك أنه ليس باقتنائها تكون سعادتي.

وأنا مقتنعة تمام الاقتناع أنه طالما جعلنا الله الأول في حياتنا، فسيعطينا كل شيء آخر. وفي المقابل، إذا سمحنا لأي شيء أن يأخذ مكان الله، سيغار ويزيله.

واجه الحق، وتحرر

يثير تأملي أن هناك أمراً واحداً فقط سيحررنا، ألا وهو الحق. ومع ذلك فهو الأمر الذي نعاني في التعامل معه. فلا مانع عندنا أن نواجه الحق الذي يخص كل من عدانا؛ لكن عندما يتعلق الأمر بمواجهة الحق عندما يخصنا، فالأمر يختلف.

كان صعباً عليَّ مواجهة حقيقة أن أماني متعلق ومرتبط بالمنصب الذي أشغله. وكان من العسير في ذلك الوقت أن أقول: "أنا مزعزعة، لست أحب نفسي، وأحتاج لمعونة الله وشفائه في هذه النقطة من حياتي". ولكن ـ وكما أقول دائمًا ـ هناك نوعان من الألم في هذه الدنيا: ألم عدم التغير، وألم

التغير. فلو كنت رفضت مواجهة الحق، كنت سأظل مقيدة. كنت سأظل أحاول إرضاء الناس، مدمنة للإعجاب حتى أحافظ على منصب ربما كنت أيضاً لا أحبه.

ولكني الآن حرة، أعرف مكانتي في المسيح التي لا دخل لوظيفتي بها. أحب أن أسعد الناس، لكني لا أنهار إذا لم يرضوا عني. وطالما أعرف أن قلبي مستقيم فهذا يكفي. فإذا عملت أقصى ما أستطيع ولم يرض الناس، فما يظنونه قد أصبح شيئاً بينهم وبين الله.

أبتغي القبول ـ ولا أحد يريد عكس ذلك ـ لكني لا أدمنه. أفرح به، لكني إذا اقتضي الأمر العيش بدونه، فأنا قادرة على ذلك. وقد اجتزت ألم مواجهة الحق ومن ثم التغير، وقد جلب ذلك لي الحرية. فالطريقة الوحيدة للتحرر من القيد هو اجتياز ما يتعين علينا اجتيازه.

وأنا أشجعك بشدة أن تحرص ألا تدع أي شئ يصير لديك أهم مما ينبغي. عليك أن تُبقي الله الأول حتى يباركك بالأمور الأخرى التي ترغبها. وكما يقول (متى ٦: ٣٣): "اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وكل هذه تزاد لكم".

السقوط لا يجعل منك فاشلاً

لا تعتبر نفسك فاشلاً لمجرد أنك فشلت في بعض الأمور في الماضي، فلا يوجد شخص كفء في كل شئ. لا تسمح للصورة التي تحملها عن نفسك، صورتك الذاتية، أن تتشوه بأخطاء الماضي.

أحياناً تكون الوسيلة الوحيدة لاستكشاف الدور المعنيين بأدائه في الحياة أن نبتعد قليلاً ونجرب بعض الأشياء. إن عملية التخلص من بعض الأشياء غالباً مفيدة، لكن قد نرتكب بعض الأخطاء أثناءها..

عندما كنت أطلب إرادة الله لحياتي في الخدمة، جربت العمل في الحضانة. ولم يحتاج الأمر لأكثر من أسبوعين لأعرف أنها ليست خدمتي. عرفت ذلك وكذلك عرف الأطفال! وجربت أيضاً الخدمة في الطريق العام، ومع ذلك كنت غير مرتاحة البتة بل كرهتها جداً. شعرت أولاً بالذنب بسبب عدم رغبتي في النزول للشارع وإخبار الناس عن يسوع، لكن أدركت فيما بعد أنه إذا كان قصد الله لي هو هذا النوع من الخدمة، لأعطاني موهبة ورغبة في العمل فيها.

كنت قد ذكرت في فصل سابق أني عملت في كنيستي كسكرتيرة للراعي وقد تم الاستغناء عن خدماتي من أول يوم. إن مجرد فشلي في تلك الوظيفة لا يعني أبداً أني فاشلة؛ لكني واصلت وتقدمت حتى أصبحت ناجحة بدرجةٍ ما!

إن العديد من الناس يجعلون الماضي يتحكم في المستقبل. أرجوك لا تفعل ذلك! دع الماضي للماضي. كلنا اجتزنا في الماضي وكلنا لنا مستقبل. ويعلمنا الكتاب في (أفسس ٢: ١٠) أنه قد أعيد خلقنا في المسيح يسوع من أجل أشياء صالحة قد سبق الله وأعدَّها من قبل لكي نسلك فيها. وتعني إعادة الخلق أنه قد سبق وخلقنا ثم فسدنا واحتجنا للإصلاح.

ونقرأ في (إرميا ١٨: ١-٤) عن الفخاري الذي أعاد صنع آنيته التي فسدت. هذه هي صورتنا في يد الله، الفخاري الأعظم. عندما ندخل في علاقة جديدة مع المسيح نصبح خليقة جديدة. الأشياء العتيقة تمضي وننال فرصة لبداية جديدة.

نصبح طينة روحية جديدة في يد الروح القدس ليعمل بها.

ويعد الله لكل واحد منا فرصة بداية جديدة منتعشة بشرط أن ندع الماضي يمضي لحال سبيله ونتقدم نحن. إننا نعد طريقاً "للجديد" بإيماننا وتصديقنا لما يقوله الله عنه: "لأني عرفت الأفكار التي أنا مفتكر بها عنكم يقول الرب أفكار سلام لا شر لأعطيكم آخرة ورجاء" (إرميا ٢٩: ١١) يريد الشيطان أن نصاب بالسلبية ونشعر باليأس، لكن كلمة الله تقول إنه يجب أن نكون "أسرى الرجاء": "ارجعوا للحصن (الأمان والرجاء) يا أسرى الرجاء، اليوم أيضاً أصرح أني أرد عليكِ ضعفين" (زكريا ٩: ١٢).

لا تتوقف عن الأمل والرجاء. يعلمنا رومية ٤ أن إبراهيم لم يكن لديه أي سبب بشري يجعله يرتجي تحقق وعد الله، لكنه أَمِل في الإيمان. ويقول أنه لا ريبة أو شك جعله يتزعزع فيما يخص وعد الله، لكنه ازداد قوة بينما كان يعطي المجد والحمد لله.

لقد بقي إبراهيم إيجابيًّا وراجياً، ونعرف من الكتاب أنه قد تلقى البركة الموعودة في ابنه. لا تدع سقطاتك القديمة تحرمك من الأمل في نجاح المستقبل فلا أمان في مستقبلك

يتسع لفشل الماضي. وكما قلت، لا يعني فشلك في الماضي في بعض الأمور أنك فاشل.

ومهما سرق الشيطان بالخداع، فالرب سيعوض ضعفين إذا كنت مستعداً للتقدم للأمام متناسياً الماضي. دع القديم لتمضي قُدُماً!

أناس لهم "ماضي"

مريم المجدلية من الشخصيات التي لها "ماضٍ". كانت تبيع علاقات الحب بالساعة، كانت عاهرة. وكان الفريسيون يدعونها "الخاطئة جداً" (انظر لوقا ٧: ٣٧). وكانت تدعى المجدلية لأنها من مجدل، بلدة غير معروفة. وكان الناس يقولون عن بلدة يسوع "الناصرة": "أمن الناصرة يخرج شيء صالح؟!" (يوحنا ١: ٤٦). وأذكر هذين المثلين لأُبَين لك أن الله لا يختار دائمًا الناس من الأماكن المشهورة، وذوي مواهب وقدرات وأصحاب ماضٍ رائع.

نرى في (لوقا ٧: ٣٦-٥٠) مشهد مريم وهي تدهن قدمي يسوع بزجاجة عطر غالي الثمن جدًّا، وتبللهما بدموعها ثم

تمسحهما بشعرها. وبما أنها كانت عاهرة فربما كان العطر هدية من أحد زبائنها أو اشترته بالمال الذي تكسبته من مهنتها هذه. وكان يسوع في وقتٍ ما قد أخرج منها سبعة شياطين (انظر لوقا ٨: ٢). ونظر الآخرون إلى عمل محبتها هذا على أنه نوع من الإثارة بحكم ماضيها، لكن يسوع كان يعلم أنه عمل محبة خالصة.

عندما يكون ماضينا لا يسر، كثيراً ما يسيء الناس الحكم على تصرفاتنا، فنجد أنفسنا أسرى لعبة الاسترضاء، محاولين إقناع الآخرين بإمكانية قبولنا. والناس لا ينسون ماضينا بالسهولة التي ينساه بها الله. لم يقدر الفريسيون أن يفهموا ترك يسوع لمريم أن تلمسه. وقال يسوع إن الذين غفر لهم كثيراً يحبون كثيراً (انظر لوقا ٧: ٤٧).

كانت مريم تدرك ماضيها جيداً، وقد أحبت يسوع حباً عظيماً لأنه غفر لها خطاياها العظمى. وقد أرادت أن تعطيه أثمن ما تملكه، كانت تريد أن تخدمه. وقد رأى يسوع قلبها، لا ماضيها.

وهي أظهرت اتضاعاً بمكوثها عند قدميه. البعض يحبون

التواجد عند رأسه لكن لا يوجد كثيرون يطلبون الركوع عند قدميه. يريد الكثيرون أن يعرفوا ما يعرفه، أن يكونوا على الخريطة، وأن يتقلدوا مواقع القيادة. إن مكانتنا لا تفرق مع الله، بل مكاننا، فأين تتخذ مكانك؟

وقد رافقت مريم يسوع في رحلاته وساندته مما تملك (انظر لوقا ٨: ٢-٣). ربما كانت ثروتها من ماضيها؛ وبالمثل قد تحوز أشياء مفيدة من الماضي، بعض الخبرة، بعض الحكمة المكتسبة أو حتى سلعاً مادية، والتي يمكن استخدامها الآن في ملكوته.

حضرت مريم صلب يسوع (انظر يوحنا ١٩: ٢٥). لم تختفِ عندما ساءت الأمور، بل بقيت معه حتى النهاية. وكانت عند القبر لما وجدته فارغاً (انظر يوحنا ٢٠: ١-١٣). وكانت أول كلمات عند القبر الفارغ موجهة إلى امرأة. قال الملاك: "اذهبا سريعاً قولا لتلاميذه إنه قام من الأموات" (متى ٢٨: ٧). ولاقى يسوع مريم وهي منطلقة، وعندما عرفته أمسكت بقدميه وسجدت له. فقال لها: "اذهبي قولي لإخوتي أن يذهبوا إلى الجليل وهناك يروونني" (ع ٩-١٠).

ما أريد أساساً أن أقوله: "كانت مريم امرأة لها ماضٍ، وغفر لها يسوع، وبالطبع كان لها مستقبل عظيم. وهي تُذكر في كل جيل منذ أيام المسيح، وتعطينا القصص من حياتها أمثلة غنية يمكن تطبيقها على حياتنا. كان يمكن أن تسقط في فخ إدمان الإرضاء فتقضي حياتها بائسة؛ لكنها وضعت ثقتها في يسوع وتعلقت بحياتها الجديدة فيه".

هل سيستخدمنا الله إذا كان لنا ماضٍ؟ لست واثقة أن يستخدمنا إذا لم يكن لنا نوع من الماضي. ونحن نكتسب خبرة من الأمور التي نجتازها. إن الكثير من تعليمي الذي أقدمه أستقيه من ماضيَّ. فأنا لي ماضٍ قد طبقت عليه كلمة الله وأنا مستمتعة بالمستقبل الذي وعدني به الله.

دعنا نلقي نظرة على مجموعة قليلة من الناس حمل ماضيهم علامات استفهام؛ وقد استخدمهم الله بقدرة عظيمة.

بطرس

كان بطرس رجلاً ذا ماضٍ. لم يكن شخصاً متميزاً؛ كان مجرد صياد خشن فج. كان جريئاً لا يخاف من التغيير، لكن

أيضاً كانت له أخطاء كثيرة. في (متى ١٦: ٢٢-٢٣) تري بطرس يحاول التعديل على يسوع. وفي (متى ٢٦: ١٣-٣٥) كان يظن في نفسه أكثر مما ينبغي. كانت عنده مشكلة كبرياء ورأى نفسه أفضل من الرجال الآخرين.

ويسجل (متى ٢٦: ٦٩-٧٥) أن بطرس أنكر حتى معرفته بيسوع. إلا أنه ما إن أدرك عمق خطيته، بكى بمرارة، مما يبين قلبه التائب (ع٧٥). إن الله رحيم ويتفهم ضعفاتنا. يخبرنا (مرقس ١٦: ١-١٧). أنه حين أرسل يسوع رسالة لتلاميذه يخبرهم بقيامته من الأموات؛ ذكر الملاك - رسوله - على وجه الخصوص بطرس وبالاسم "قولوا للتلاميذ ولبطرس إنه يسبقكم إلى الجليل" (ع ٧).

يمكنني تخيل فرحة بطرس لدى إخباره أن يسوع مرسل له رسالة شخصية. وقد تم إدراج بطرس في خطط الله للمستقبل حتى لو كان له سجل من الحماقة والفشل. نعم أنكر بطرس يسوع، ومع ذلك صار واحداً من أشهر الرسل. كان يمكن أن يقضي بقية حياته يتعذب من إنكاره ليسوع، لكنه داس على فشل الماضي وصار صالحاً لملكوت الله.

كان له من قوة الروح القدس ما يجعل الناس يشفون حين يقع ظله عليهم! (انظر أعمال ٥: ١٥) الله مستعد أن يغفر لمن اقترفوا الأخطاء، لكن يجب أن يكونوا مستعدين لتقبل غفرانه. ثم أن يغفروا لأنفسهم هم أيضاً. وهو يعد بنسيان أخطائنا الماضية (انظر إرميا ٣١: ٣٤). وتوقف عن تذكر ما نسيه الله!

يعقوب

كان رجلاً ذا ماض. كان ماكراً مدبراً للمكائد، مخادعاً ومحتالاً. كان كاذباً. وكان أيضاً أنانياً وأحياناً وحشياً تجاه الآخرين. كان يستغل الناس للحصول على ما يريد. استغل ضعف أخيه عيسو وسرق البكورية. كذب على والده مدعياً أنه عيسو ليحصل على البركة التي تخص الأخ البكري.

يعلمنا الكتاب المقدس أننا نجني ما نزرعه (انظر غلاطية ٦: ٧)، وبالطبع جاء الوقت في حياة يعقوب الذي تجرع فيه من خاله لابان ما سقاه للآخرين من قبل. غش لابان يعقوب الذي كان يريد الزواج من ابنته راحيل، واعداً إياه

بتزويجها له إن قضى في خدمته سبع سنوات مهراً لها. وفي نهاية السنوات السبع توقع يعقوب أن يحصل على راحيل لكنه أُعطِي أختها ليئة بدلاً منها. وقيل له أن يخدم سبع سنوات أخرى من أجل راحيل. بالطبع شعر يعقوب بأنه تم خداعه وغشه وعومل معاملة ظالمة. وربما فاته أن يتذكر أنه قد عامل الآخرين نفس المعاملة في مناسبات كثيرة. نعم، نحصد ما زرعناه؛ والذي نرسله يعود إلينا.

وفي النهاية اختبر يعقوب تغييراً في القلب. لقد تعب من الهروب والاختباء من عيسو. وترك يعقوب أخيراً كل ماله وعاد صوب أرضه وبلده. وفي الطريق تصارع مع الله. كان مصمماً على نوال بركة مهما كلَّفه الأمر. وغيَّر الله اسم يعقوب الذي يعني المخادع والمحتال والماكر، إلى إسرائيل، الذي يعني المقتدر مع الله (انظر تكوين ٣٢: ٢٧-٢٨).

وصار يعقوب قائداً عظيماً ورجل الله. كان له ماضٍ يمكن أن ينعته بالفشل، لكن ما إن واجهه وتاب عنه، أصبح له أيضاً مستقبل(اقرأ عن يعقوب في تكوين ٢٥-٣٢).

راعوث

كانت راعوث موآبية. كانت تعبد الأوثان ومع ذلك قررت أن تخدم الله الواحد الحقيقي. ونتيجة لذلك صارت في سلسلة النسب المباشرة لداود ويسوع (انظر سفر راعوث ومتى ١: ٥).

راحاب

كانت راحاب زانية، ومع ذلك ساعدت شعب الله، وصارت مثل راعوث في سلسلة نسب داود ويسوع (انظر يشوع ٢ و٦ ومتى ١: ٥).

بولس

كان لبولس ماضٍ. إضطهد المسيحيين ومع ذلك صار الرسول الذي تلقى ثلث العهد الجديد بالإعلان وأُخِذ إلى السماء الثالثة حيث رأى أمجاداً لم يكن بوسعه حتى وصفها (انظر ٢كورنثوس ١٢: ١–٤) وعندما كان يؤتي عن جسده بمناديل ومآزر إلى المرضى كانوا يُشفون (انظر أعمال ٩: ١١-٣٠) يالها من مسحة قوية! ولا يبدو بالطبع أن ماضي بولس قد أثر على مستقبله.

سوف تنجح
لو رفضت الكف عن المحاولة

هل تعرف إبراهام لنكولن، الذي ربما كان واحداً من أعظم رؤساء أمريكا، إن لم يكن أعظمهم؟ لقد خسر انتخابات عديدة قبل انتخابه رئيساً للولايات المتحدة. والحقيقة أنه حاول ترشيح نفسه لوظيفة عامة مرات كثيرة وفشل كثيراً لدرجة يصعب معها تصور كيف واتته القدرة على ترشيح نفسه للرئاسة. ومع ذلك فقد فعلها ونجح.

هل تعرف أن توماس إديسون قد قال مرة: ضللت طريقي إلى النجاح"؟ ورفض أن يكف عن المحاولة، وأخيراً اخترع المصباح الكهربائي، لكن بعد ألفين من التجارب الفاشلة لاختراعه قبل أن ينجح أخيراً. إن شخصًا مثل إديسون لا يستسلم لاشك أنه صاحب شخصية قوية.

هل تعرف أن المادة المستخدمة في مناديل الكلينكس كانت أصلاً مخترعة كواقٍ من الغاز أثناء الحرب العالمية الأولى وفشلت؟ ولما لم تنجح حاول المخترعون تحويلها إلى كريم لإزالة الماكياج، ففشلوا مرة أخرى. وأخيراً أدركوا النجاح عندما أعادوا تعبئتها في صورة مناديل ورقية. وهاهم

الأمريكيون وغيرهم يشترون مائتي بليون عبوة كلينكس كل سنة. وكانت بداية الأمر فشلين متتاليين، لولا أن قال أحدهم قد قال: "أرفض الاستسلام!".

أنا شخصياً أؤمن أن الفشل جزء من كل نجاح حقيقي لأن إخفاقنا في الوصول إلى طريق النجاح يجعلنا نتضع، وهذا جزء حيوي حتى يتمكن الله من استخدامنا بصورة فعالة.

وضع شارل دارو هدفاً نصب عينيه وهو في عشرينات عمره أن يصير مليونيراً. وهذا ليس مستغرباً اليوم، إلا أنه على أيامه كان أمراً غير عادي بالمرة.

عاصر شارل في عشرينيات القرن الماضي الهادرة أياماً كانت المليون دولار فيها مبلغاً ضخماً. وتزوج من سيدة تدعى استر، واعداً إياها بأنهما يوماً ما سيصبحان من أصحاب الملايين. ثم حدثت تراجيديا الكساد العظيم عام ١٩٢٩، وفقد شارل وإستر وظيفتهما. فرجعا بيتهما وباعا سيارتهما واستهلكا كل مدخراتهما. كان شارل محطماً تماماً. وجلس أمام بيته في شدة الاكتئاب حتى أخبر زوجته ذات يوم بأنها يمكن أن تتركه إذا أرادت. فمن الواضح ـ كما

قال لها ـ أنهما لن يبلغا هدفهما أبداً. ولم تكن استر لتتركه، بل قالت له إنهما سيبلغان الهدف، لكن قد يحتاجان أن يفعلا شيئاً ما كل يوم ليبقيا حلمهما على قيد الحياة.

ربما كان ما أرادت قوله لشارل: "لا تدع أحلامك تموت لمجرد ارتكابك أخطاء قليلة في الماضي. لا تستسلم لمجرد أنك حاولت مرات قليلة ولم ينجح الأمر. إن الله يريدك أن تطرح وراءك أخطاء الماضي، أما الشيطان فيريدك أن تستسلم.

إن التقدم يقتضي ثمناً، وأحياناً يكون الثمن الذي تدفعه هو مجرد "المواصلة، المواصلة" قائلاً: "لن أستسلم حتى أتذوق طعم الانتصار"، لا تكن ذلك النوع من الناس الذي يتعامل مع كل صعوبة بمنطق "الفرار".

عندما قالت استر لزوجها "احتفظ بحلمك حيًّا" رد عليها شارل "لقد شبع موتاً. لقد فشلنا ولن يجدي أي شيء". لكنها لم تستمع لهذا النوع من اللغو، ورفضت تصديقه. واقترحت أن يقضيا وقتًا كل ليلة يناقشان فيه ما ينبغي عمله للوصول لحلمهما. وبدآ ذلك ليلة بعد ليلة، وسرعان ما طرأت

لشارل فكرة لعبة مالية. بدت فكرته جذابة نوعاً بالنظر إلى ندرة المال في تلك الأيام. وحيث أنهما كانا بلا عمل اتسع وقت فراغهما وأصبحا يلعبان "بالفلوس" الورق. وتخيلا شراء أراضٍ وبيوت ومؤسسات. وسرعان ما تحولت النكتة والخيال إلى لعبة منظمة على لوحة وكروت وزهر ونماذج بيوت وفنادق....

كانت هذه بداية لعبة المونوبولي التي ربما كان لديك نسخة منها في دولابك الآن. كانت عائلة شارل وأصدقاؤه يستمتعون باللعبة، وفي سنة ١٩٣٥ أخذوا يحثونه على الاتصال بشركة إخوان باركر للألعاب ليرى إن كان يمكنهم شراؤها. ولعب المسئولون اللعبة الوليدة ثم قالوا: "إنها غبية وبطيئة ومعقدة ومملة، ولا نريد شراءها".

حسناً، إلا أن شارل ظل مثابراً، فالمثابرة أمر حيوي للنجاح. يجب أن تثابر، لا تتخاذل، واصل ثم واصل، وارفض الاستسلام. وعندما تفعل ذلك لابد أن تنجح.

ظلت زوجة شارل تشجعه. شكراً لله من أجل الأحباء الذين يشجعوننا في حياتنا. اتصل شارل بمتجر "وانا ميكر"

للألعاب وعرض عليهم إذا قبلوا اللعبة أن يأخذ قرضاً بخمسة آلاف دولار ليصنع نسخاً عديدة منها، لأنه كان واثقاً من قدرتهم على بيعها.

وانطلقت اللعبة في السوق، وفجأة جذبت اهتمام إخوان باركر مرة أخرى وجربوها فوجدوها مسلية وسريعة وبها قدر من الخيال. ونالت اللعبة حق الأداء سنة ١٩٣٥ حيث اشتراها إخوان باركر من شارل دارو بمبلغ مليون دولار. وتحقق حلم شارل واستر.

يحلو لنا أن نقرأ قصص نجاح من هذه العينة، لكن دعونا نتذكر أن الله يريد أن يعمل نفس هذه النوعية مع كل واحد منا. وهو "لا ينظر إلى الوجوه" أي أنه ليس لديه مجموعة أثيرة من الناس دون غيرها والباقي يقف خارجاً. سوف تعمل مبادئ الله مع أي واحد مستعد أن يُطَبقها. تقول كلمته أن كل الأشياء ممكنة لمن يؤمن (انظر مرقس ٢٣:٩).

فإذا ظللنا إيجابيين، مصدقين ومؤمنين، رافضين الاستسلام، سيصنع الله شيئاً عظيماً من خلالنا جميعاً. لا تسقط في فخ عدد مرات الفشل في حياتك حتى أنك ترفض

حتى أن تصدق أن لك مستقبلاً. وتذكر أنك لست فاشلاً لمجرد أنك فشلت. الرب يري قيمتك بغض النظر عن أي شئ، ولا حاجة بك إلى أي رضا سوى رضاه هو، وإذا كان هو قد تجاوز عن ماضيك فأنت قادر على ذلك.

كتيبات أخرى لچويس ماير

لا ترهب

متى يا رب؟

لماذا يا رب؟

سلام الله

اخبروهم أني احبهم

أهزم خوفك

انتظر حتى يعمل الله في حياتك بغتةً

أهم قرار في حياتك

ساعدني أنا قلق

ساعدني أنا محبط

ساعدني أنا خائف

ساعدني أنا أشعر بالوحدة

ساعدني أنا مكتئب

ساعدني أنا مضغوط

ساعدني أنا أشعر بعدم الأمان

الذهن أو الروح

هل تفكر بطريقة خاطئة

كن إيجابياً

وارثاً أم عبداً ؟